نصوص

مسرحية

ديوان الحشاشين

احتفال مسرحي في نفسين

الإهــــداء

إلى كل سحرة المسرح، هنا وهناك
وفي كل زمان ومكان
إلى المسرحيين الذين تعرفهم الحقيقة
ولا يعرفهم الواقع

شخصيات الاحتفال

بديع الزمــان : المخرج
ضوء المكـــان : المؤلفة
سيف الرحمن : الممثل
موهــــــوب : التقني المدير الممثل المخرج

التقديم

إنني أدعوكم لأن تنصتوا لهمس الشخصيات ولبوحها في هذا الاحتفال المسرحي، وأعدكم بأنني سأدخل بكم، هذه المرة، إلى فضاءات حلم مسرحي.. فضاءات قد تكون غريبة وعجيبة، ولكنها ممكنة الوجود، سواء على مسرح المسرح أو على مسرح الوجود، وللواقع والواقعية في هذا الاحتفال مفهوم مختلف.. وهذا الحلم المسرحي أو هذا الكابوس المسرحي لم أعشه وحدي، بل عاشته معي شخصيات مسرحية غريبة المظهر والمخبر، وغريبة الفعل والانفعال، وغريبة الأحوال والمقامات والمواقف.. لقد رأت هذه الشخصيات وجوداً غريباً، في عالم غريب، ورأت صوراً غريبة ومثيرة ومدهشة، وكان ضرورياً أن تقول كلاماً غريباً، وأن تأتي بأفعال غريبة، وأن تقول في المؤلف الذي ألفها كلاماً غريباً أيضاً، وكل هذا من حقها، أليست الاحتفالية هي التعبير الحر، للإنسان الحر في المجتمع؟ وهل يمكن أن نتصور عالماً أكثر حرية وديموقراطية وأكثر جمالاً واكتمالاً من العالم المسرحي؟

هذه المسرحية الاحتفال لم يسبق أن قرأها قارئ من القراء، ولم يحدث أن التقى بشخصياتها مشاهد من المشاهدين، ولم يحضر أحداثها ووقائعها شاهد من الشهود. إنها واحدة من المسرحيات التي خرجت إلى الوجود. لأول مرة وأطلت على الناس، من شرفات أوراق وصفحات جريدة (الميثاق الوطني) مثلها في ذلك مثل المسرحيات الأخرى التي رافقتها في النشر، مثل مسرحية (صياد النعام) و(ليالي المتنبي) و(على باب الوزير) و(الدجال والقيامة) و(قراقوش الكبير) و(جحا في الرحى)

في هذا التقديم، سأحاول أن أكشف لكم عن بعض أوراقي وعن بعض تساؤلاتي، سواء بخصوص الواقع وما وراء الواقع، أو بخصوصية شعرية هذا الواقع أو شعرية تمثله وتصوره تصوراً سورياليا وعجائبياً..

ويمكن أن أتساءل الآن أمامكم ومعكم وأن أقول ما يلي:

- كيف يلتقي الشعر والواقع؟ وأين تتقاطع خطوط الرؤية الواقعية بخطوط الرؤية الشعرية أو الشاعرية؟ وعند أية نقطة يلتقي الطبيعي والرمزي؟

وعند أية عتبة يمكن أن يقع التماس بين الحياة والفن، وبين الكائن والممكن، وبين المألوف والعجيب، وبين الممكن والمحال؟

- وهل في هذا الواقع في وقائعه الظاهرة والمتكررة والمألوفة أية نسبة من روح الشعر ومن روح الشاعرية الشفافة؟
- وإذا كان ممكناً (شعرنة) هذا الواقع العصي على الشعر فبأي الأدوات يمكن أن يتحقق ذلك؟ وعند أي أفق جمالي ومعرفي يمكن أن تتجه كل الأنظار؟
- وما هو اجتماعي، يومي وعادي، يسكنه الاجترار، ويقيم في جسده التكرار الممل، هل يمكن أن نرتقي به، مسرحياً، وأن نصل بلغته وبمشاهده إلى درجة الغرابة والإدهاش؟
- وهل يمكن أن نبلغ به عتبة الشعر الحق، وأن نصل به ومعه إلى دنيا السحر الواقعي، وإلى دنيا الواقع السحري؟
- وما هي (طبيعة) علاقة الشعر المسرحي بالمجتمع؟
- وما هي حدود هذه العلاقة، وذلك في كل أبعادها ومستوياتها المتعددة والمتنوعة؛ أي أبعادها الظاهرة والخفية، ومستوياتها الكائنة والممكنة، وأبعادها الآنية والآتية، ومستوياتها الطبيعية والأسطورية؟
- وهل تقوم هذه العلاقة على أساس الانعكاس؟ أي على مبدأ إعادة إنتاج هذا الواقع الاجتماعي والتاريخي، تماماً كما هو كائن هذا اليوم، وذلك في كل جزئياته وتفاصيله ومفرداته المشهدية المختلفة والمتنوعة، أو كما كان بالأمس القريب أو البعيد، من خلال الاعتماد على المحكي التاريخي أو المحكي الروائي؟

في المنظر الاحتفالي، لا شيء يعادل محاكاة فعل الخلق، ولا شيء أهم وأخطر من إعادة إنتاج الوجود الإنساني برؤية إبداعية جديدة ومتجددة، وعليه، فإن الإبداع المسرحي، في معناه الاحتفالي، ليس هو تصوير الوقائع كما وقعت، ولكنه تأسيس عالم آخر جديد، عالم مغاير، بشخصيات مسرحية جديدة، وبوقائع وأحداث جديدة، وبمواقف مثيرة جديدة، وبحالات وجدانية جديدة، وبأجواء وطقوس جمالية جديدة ومتجددة. إن الواقع المسرحي ليس هو الواقع الواقعي، ولا ينبغي له أن يكون كذلك، وذلك لأنه لا ينتمي إلى الحقيقة السامية والنبيلة والشفافة، والتي قد تكون بقوة الواقع غائبة أو مغيبة، أو قد تكون معتقلة أو مهربة.

إن المسرح، وبخلاف ما قيل، ليس مرآة عاكسة ، ولو كان كذلك، فإنه لا يمكن أن يكون إلا مرآة مشاغبة ومشاكسة وحربائية وماكرة وزئبقية ومنفلتة. إن المسرح إذاً، في معناه الحقيقي، لا يعطي الواقع، أو ما يشبه الواقع، ولكنه يعطي رؤية لهذا الواقع، ويعطي موقفاً منه، ويقوم هذا الموقف المسرحي، والذي هو موقف نقدي وضدي بالضرورة، على أساس رفض الكائن الساكن والجامد، وذلك لأن مثل هذا الموقف ينطلق أساساً من عين سحرية فوق واقعية، عين تسبق في حركتها حركة الأشخاص، وتتجاوز بسرعتها سرعة كل الأشياء، وهذه العين، هي بالضرورة عين شاعر يعشق الممكن الآتي، ويغرم بالمحال البعيد، وينجذب باتجاه العوالم الغريبة والمثيرة والمدهشة، ومثل هذه العوالم الأخرى.

ويمكن أن نواصل مسيرة التساؤل وأن نقول ما يلي:

- وما هو دور المسرح الحقيقي في عالم غير حقيقي؟
- أن يكون مؤثراً ؟ وبأي شيء يمكن أن يحدث فعل التغيير؟ بجمالياته التي تخاطب العين والأذن وكفى ؟
- أن يكون فاعلاً ومغيراً، وذلك برسائله الأخلاقية، وبخطاباته المحرضة على الجمال ولا شيء غير ذلك؟
- أن يكون فعلاً انقلابياً وتثويرياً، وذلك بشعاراته الأيديولوجية، أو بأحلامه وأوهامه الطوباوية؟

يقول الشاعر المسرحي ممدوح عدوان إن (ما يعرض على الخشبة يجب أن يشبه بشكل أو بآخر، حياة البشر لكي يستطيع البشر أن يتواصلوا معه، حتى ولو صيغة خرافة أو ملحمة أو حدث من التاريخ)

ويمكن أن نتساءل من جديد، وباستغراب هذه المرة، كيف تسللت كلمة (يجب) إلى لغة الشاعر؟ وأين هي الحرية في لغة شاعر (يقترف) الشعر بإرادة حرة؟ وكيف اندست في كلامه هذه الكلمة، مع أنها لا تنتمي إلى القاموس الشعري والحقيقي، ولا إلى القاموس الإبداعي، وذلك لأنه وبكل بساطة لا إكراه في الإبداع الحق، وحيثما تدخل كلمة (يجب) تدخل المدرسية معها، وحيثما تكون المدرسية تكون التبعية أيضاً، ومع هذه التبعية يحضر التكرار دائماً، ويموت الإبداع، وتختنق الشعرية والشاعرية.

النفس الأول

1 - استهـــلال

(تفتح ستارة المسرح لندخل منه إلى مسرح آخر.. هو مسرح داخل مسرح إذاً، وكل مسرح داخل هذا المسرح يوجد مسرح آخر غيره، أكبر منه أو أصغر منه، أصدق منه أو أكذب منه، وذلك إلى ما لا نهاية، تماماً كما هو الشأن بالنسبة للمرايا المتقابلة..هذا الفضاء المسرحي تؤثثه الحبال والستارات السوداء والحمراء والكشافات الضوئية المعلقة والمتدلية من فن فوق .يدخل عمال المسرح ويخرجون، وهم يحملون قطعاً مسرحية مفككة.. يركبون منظراً سوريالياً غريباً، وذلك بمواد وأشكال وأحجام غير طبيعية وغير واقعية.المنظر المسرحي لا ينتمي لأي مكان معروف ،ولا لأية حقبة زمنية معينة، وفيه شيء من كل شيء، من الماضي والحاضر، وفيه شيء من الآتي الممكن، وفيه من الجنون أكثر مما فيه من المنطق الهندسي. هو العالم إذاً، لا كما هو هذا العالم في الواقع، ولكن كما يمكن أن يتصوره محموم مجنون أو حشاش..يخرج المخرج بديع الزمان وهو في زي غريب، يتبعه مساعده موهوب وهو ملتصق به ..)

بديع الزمــــان : (يلتفت يمنة ويسرة) أين راح ذلك الرجل؟ عفواً.. سألتموني أي رجل؟ذلك الآدمي الملتحي.. لقد كان هنا بالقرب مني.. (ينادي بأعلى صوته) أين أنت يا موهوب؟

موهـــــــــوب : (بأعلى صوته أيضاً) إنني هنا.. بالقرب منك، ألا تراني؟

بديع الزمــــان : ها ها .. كيف أراك وأنت ملتصق بي .. ابتعد قليلاً .. ابتعد قلت لك، ألا تسمع؟

موهـــــــــوب : (وهو يصرخ) لماذا تصرخ يا بديع الزمان.

بديع الزمــــان : إنني فقط أريد أن أطمئن يا أيها الآدمي المتعب. أليس من حقي هذا؟

موهـــــــــوب : تطمئن على ماذا يا بديع الزمان؟

بديع الزمــــان : أطمئن على سمعك.. نعم .. على سمعك.. ألا تسمع؟ ها ها.. هل تعرفون اسمه؟

موهـــــــــوب : اسمي موهوب (منتفخاً في زهو)

بديع الزمـــان : أي نعم ..اسمه موهوب، وحق الله هذا هو اسمه، ولست أنا من سماه ، وعلى الوالدين أن يتحملا كامل مسؤوليتهما في هذه الجريمة..

موهـــــــوب : هو في هذا المسرح المخرج، وأنا مساعده، وإذا مات أو قتلته، إن شاء الله، فإنني سأصبح المخرج مكانه..

بديع الزمـــان : هو مساعدي أحياناً، ولكنه مساعد الشيطان في كل الأحيان..

موهـــــــوب : كما أنني ممثل في حال الطوارئ، يعني إذا مرض ممثل من الممثلين أو أصابته مصيبة..

بديع الزمـــان : كما أنه تقني سيئ، وملقن غشاش، وعندما نحتاج إلى مدير يكون هو المدير.. ها ها .. (ينادي بأعلى صوته) موهوب..

موهـــــــوب : (بصوت مرتفع أيضاً) نعم سيدي المخرج المبجل؟

بديع الزمـــان : هل كل شيء على أسوأ ما يرام؟

موهـــــــوب : نعم.. تماماً كما أمرتم .. سيدي المبجل..

بديع الزمـــان : رائع .. رائع وفظيع، وحق اللات والعزى ومولاي بوعزة، هذا ما كنت أريد.. فعلاً أنت موهوب.. (وهو يتأمل المنظر الغريب باندهاش ويصفر)

موهـــــــوب : انظر يا بديع الزمان، لقد مسخنا لك هذا المكان مسخاً بئيساً، وشوهناه لك تشويهاً فظيعاً..

بديع الزمـــان : الله الله، وهذا هو الفن الحقيقي يا عمي موهوب..

موهـــــــوب : نعم، الفن هو هذا .. إنه الفوضى، وهو المسخ، أما ذلك الشيء الذي يسمى الإبداع، فما هو إلا قلة الخيال وقلة (الهبال)..

بديع الزمـــان : الآن فقط تيقنت، بأن من سماك «موهوب» لم يكن خاطئاً أبداً.. والجمال يا صاحبي ماذا تقول عنه؟

موهـــــــوب : الجمال؟ (يحك رأسه) الجمال هو فقدان الذوق، أو هو قتل الذوق..

بديع الزمـــان : الله أكبر.. ما هذا الذي أسمع.. (ينادي بأعلى صوته) يا عمال المسرح اسمعوني .. اقتربوا مني أولاً .. (يدخل عاملان .. يقتربان منه) رتبا لي هذا المسرح كما أعشق

وأهوى.. رتباه بحمق وجنون.. إن هذا العالم يا عمي موهوب هو عالمي أنا، وهو غير عالم الناس، وغير عالم الأشياء المعروفة والمألوفة.. هذا عالمي أنا، وأنا هنا سيده ومولاه، وأرجو أن يكون مختلفاً عن عالم رب العالمين..

2 - قل لي كيف تراني؟

(تدخل امرأة عمياء فجأة، تقف عند أبعد مكان وهي داخل بقعة ضوء.. تضع على عينيها نظارات سوداء، وتمسك بعصا بيضاء، ترتدي معطفاً صوفياً كبيراً وكأنها قادمة من منطقة ثلجية)

ضوء المكـــان : (للجمهور) لقد رأيتموني، وهذا كرم مني أنا.. كرم أن تروا صورتي، وأن تسمعوا صوتي، وأن تسليكم حكمتي الملونة مرة، والسوداء والبيضاء والرمادية في أغلب المرات.. أنا أيضاً أراكم، رغم هذا العمى أراكم.. إنكم هنا.. نعم هنا، وأنتم تتساءلون في فضول، هذه المرأة المبهمة والغامضة من تكون؟ (تضحك ضحكة باردة وغامضة ومحايدة) هذا فعلاً مسرح .. مسرح داخل مسرح، ولكن أنا .. أنا لست ممثلة ولست .. ولست .. (تختفي بقعة الضوء، فتختفي المرأة أيضاً.. يدخل بديع الزمان وهو يكاد يسقط من شدة الضحك)

بديع الزمـــان : ها .. ها .. إنه .. إنه .. ها ها.. (يدخل موهوب فيزداد ضحكه لرؤيته)

موهـــــــــوب : يا بديع الزمان، ماذا رأيت؟

بديع الزمـــان : رأيت .. رأيت عجباً .. ها ها .. رأيتك أنت ..

موهـــــــــوب : أنا؟ وماذا بي أنا؟

بديع الزمـــان : كل شيء فيك تغير.. لقد أصبحت أنت غير أنت، ووجه غيرك أصبح وجهك أنت..

موهـــــــــوب : يا بديع الزمان، من فينا الذي تغير؟ أهو أنا أم أنت؟

بديع الزمـــان : يا عمي، أنا أو أنت، ليس هذا هو المهم، لأن ما أراه لا يقلقني، بل بالعكس، إنه يضحكني.. ها ها .. اسمع، إن كنت تريد أن تبقى هكذا، فإنه لا مانع عندي.. ها ها.. هذا يناسبك تماماً.. يناسبك أنت ويرضيني ويضحكني أنا ..

موهـــــــــوب : هذا الوجه؟ أي وجه يا بديع الزمان؟

بديع الزمـــان : وجهك.. وجهك يا موهوب.. إنه أعجوبة الزمان والعصر

والأوان (ينشد) وجهك يا موهوب فيه طول وفي وجوه الشياطين طول هاها.. في وجهك طول وأنا ليس لدي ما أقول..

موهـــــــوب : سبحان الله.. ماذا أصابك يا بديع الزمان؟ هل أنت محموم؟

بديع الزمـــان : أبداً يا عمي..

موهـــــــوب : إذن فأنت مريض بلا شك؟

بديع الزمـــان : مريض؟ ها ها .. هل سمعتم؟ يا رب العالمين، إن كان هذا الذي أنا فيه مرضاً، فصلّط علينا كل أمراض المسلمين والكافرين والملحدين، وأمراض أهل اليسار ومعهم أصحاب اليمين، آمين يا رب العالمين..

موهـــــــوب : لقد عرفت.. أنت ضيعت عقلك، أين فقدته يا بديع الزمان؟ أين؟ قل حتى أساعدك.. لا تخف، سنجده بلا شك..

بديع الزمـــان : ماذا يقول هذا العجوز المخرف؟

موهـــــــوب : تعال يا بديع الزمان.. إن عقلك موجود.. موجود في هذا المكان أو في ذاك المكان، ومن يدري، فقد يكون موجوداً في اللامكان وأنت لا تدري.. (يجذبه من يده)

بديع الزمـــان : انتظر يا موهوب.. إلى أين تريدنا أن نذهب؟

موهـــــــوب : إلى المدينة.. تعال بسرعة..

بديع الزمـــان : (يضحك) عجباً.. تريد أن تخرج للناس بهذا الوجه؟

موهـــــــوب : وماذا به هذا الوجه؟

بديع الزمـــان : يا عمي موهوب افهمني.. إن المهم ليس هو أنت كما أنت، ولكن المهم هو أنا، وكما يمكن أن أراك أنا ..

موهـــــــوب : آه .. أنت، وهل يمكن أن أعرف يا بديع الزمان كيف تراني الآن؟

بديع الزمـــان : نعم، يمكن جداً.. إنني أراك بعين المبدعين الكبار.. أراك بعين سوريالية محمومة وحمقاء..

موهـــــــوب : يا ويل أمي..

بديع الزمـــان : (يضحك) إنني .. إنني.. أخزاك الله يا ملعون، أبعد عني هذا البلاء.. من أين أتيت بهذا القناع؟

موهـــــــــوب : أنا لا أضع قناعاً يا بديع الزمان ..

بديع الزمـــان : عجباً..

موهـــــــــوب : هذا وجهي.. وجهي الحقيقي..

بديع الزمـــان : ماذا؟ أتريدني أن أكذب عيني، وهي عيني، وأن أصدقك أنت، ومن أنت؟ قسماً باللات والعزى ومولاي بوعزة إن هذا لن يكون أبداً.. هل سمعت؟ اعترف يا عمي موهوب، اعترف، إنه لا شيء أحلى وأبهى من الحقيقة العارية والحافية أيضاً.. (يضحك) الملعون.. لقد أصبح خرتيتاً.. ها ها..

موهـــــــــوب : بديع الزمان.. (وهو ينظر إليه نظرة ذات معنى) ماذا أكلت هذه الليلة؟

بديع الزمـــان : أنا؟ أنا لم آكل شيئاً..

موهـــــــــوب : إذاً فقد شربت.. شربت شراباً ملعوناً.. اعترف يا بديع الزمان، قل الحقيقة، لأنه لا شيء أحلى وأبهى من الحقيقة العارية والحافية أيضاً.. قل، فأنت والله لست طبيعياً هذا المساء..

بديع الزمـــان : (يضحك) يا عمي موهوب.. أنا لا آكل ولا أشرب، ولكنني فقط أدخن.. نعم أدخن، وقد يحدث أحياناً أن أشم .. ما هذا؟ (وكأنه يشم رائحة ما) إنني أشم رائحة فيك..

موهـــــــــوب : (بزهو) إنه .. إنه البارفان يا بديع الزمان..

بديع الزمـــان : ماذا قلت؟ لم أسمع جيداً..

موهـــــــــوب : قلت البارفان، ألا تسمع؟ عطر ليس مثله عطر آخر ..

بديع الزمـــان : آه.. البارفان.. ما أعرفه يا عمي موهوب هو أن البارفان أنواع، فأي نوع هو بارفانك؟

موهـــــــــوب : إنه عطر باريسي من النوع الرفيع جداً جداً.. أما اسمه فهو .. فهو .. يا ربي.. اسمه على طرف لساني..

بديع الزمـــان : نعم.. هو؟

موهـــــــــوب : آه .. أخيراً تذكرت يا بديع الزمان.. اسمه بارفان الرحمان....

بديع الزمـــان : آه .. لم تقل لي، منذ متى لم تدخل الحمام؟

موهـــــــــوب : منذ متى؟ من أزمان وأزمان يا بديع الزمان، من عام الفساد أو من عام الجراد.. لم أعد أذكر، أو ربما من عهد فرعون وهامان.. ها ها .. هذه المرة أنا الذي أضحك..

بديع الزمـــان : إذاً ابتعد عني.. ابتعد يا صاحب البارفان..

موهـــــــــوب : (يضحك) بارفان الرحمان.. ها ها ..

بديع الزمـــان : ابتعد أكثر، ولا تخاطبني إلا من وراء حجاب..

موهـــــــــوب : لم تخبرني يا بديع الزمان، قبل أن تأتي إلى هنا، أين كنت؟

بديع الزمـــان : أين كنت؟ آه لو تعرف يا عمي موهوب أين كنت.. كنت في جلسة ممتعة.. جلسة تاريخية لم يحلم بها هارون الرشيد في زمنه السعيد..

موهـــــــــوب : جلسة؟ جلسة علم يا بديع الزمان؟

بديع الزمـــان : لا..

موهـــــــــوب : أو جلسة سياسة؟

بديع الزمـــان : أعوذ بالله، بل هي جلسة حشيش يا عمي الخرتيت.. ها ها..

موهـــــــــوب : هس.. (في خوف) إياك أن يسمعك موهوب الآخر.. موهوب المدير وليس أنا..

بديع الزمـــان : ها ها.. ليسمع.. (بصوت عال) أنا لا أخاف أحداً.. ومن كل أرباب الأرض والسماء، لا أخاف إلا رب العالمين وحده..

موهـــــــــوب : ها .. هل سمعتم؟ إنه يخاف الله، ولكنه يتحشش.. يا بديع الزمان، ألم تقرأ ما قال الإمام ابن تيمية في الحشيشة؟

بديع الزمـــان : الحشيشة؟ هكذا سماها؟

موهـــــــــوب : نعم، وقد قال عنها بالحرف الواحد..

بديع الزمـــان : (يقاطعه) لا تكمل.. رجاء اعفني الله يسترك من سماع رأي الشرع في الحشيش وأهل الحشيش وتجار الحشيش، فأنا فنان جبان.. كبدي رقيق يا عمي موهوب، وقلبي (هشيش)

موهـــــــــوب : ها ها.. لقد جاء دوري لأضحك عليك.. الإمام ابن تيمية قال..

بديع الزمـــان : لا..

موهـــــــــوب : نعم . قال لا ، وحق الله قالها.. قال لا يدخل الجنة حشاش..

بديع الزمـــان : كذاب..

موهـــــــــوب : سامحك الله يا بديع الزمان..

بديع الزمـــان : كذاب وغشاش ومزور.. أنت لست موهوباً إلا في شيء واحد أوحد وهو الكذب.. يا رب العالمين، ماذا أصاب الناس في دنياك؟ إنني كلما اقتربت من شيء يسعدني ويمتعني وجدت الغربان من حولي تحذر بصوت واحد، هذا حرام، وذاك حرام، وكل شيء حرام، أو هو على الأقل نصف حرام، أو ربع حرام.. حرام .. حرام..

موهـــــــــوب : (يضحك بسادية) ها ها.. أخونا لم يعد يضحك.. لقد أرعبته.. وحق الله أرعبته..

بديع الزمـــان : بودي لو كنت أعرف لماذا.. لماذا يا ربي كل هذه الشباك المنصوبة في دنياك؟ هل العذاب هو الحلال وحده؟ هل البشاعة والخيبة؟ هل هو الموت أو ما يشبه الموت؟ بودي لو كنت أعرف.. (يخرج وهو يمسح دمعه ، تشيعه ضحكات موهوب.. يدخل العامل)

موهـــــــــوب : (وهو مازال يضحك) لقد .. لقد جن الرجل تماماً.. قلتها لك يا رأس الحلوف ولم تصدقني..

العامـــــــــل : جن الرجل؟ أي رجل يا عمي موهوب؟

موهـــــــــوب : بديع الزمان .. ألا تراه كيف يمشي، وكيف أصبح ينطق، وكيف يصرخ بأعلى صوته؟ اللهم استرني يا ربي، واستر أولادي وذريتي، واستر حتى ذلك الحلوف، فهو صديقي رغم كل شيء..

العامـــــــــل : يا عمي موهوب، لا يصح أن تقول مثل هذا الكلام في بديع الزمان، هل نسيت أنه رجل عبقري؟

موهـــــــــوب : هو عبقري؟ من يكون الحمار الذي قال عنه هذا؟

العامـــــــــل : لقد سمعتهم يقولون إنه رجل خطير.. رجل ولدته امرأة، واحتضنه هذا الزمان ورباه وعلمه وسماه بديع الزمان..

موهـــــــوب : هذا كلام ليس له معنى، ولعنة الله على من قاله، وعلى من روّجه، وعلى من صدقه حتى هو.. هل سمعت؟ (يخرج موهوب ليبقى العامل وحده)

العامـــــــل : يا ويلي.. لقد أنساني هذا العجوز لماذا أنا هنا.. لقد جئت أبحث عن بديع الزمان، لأن السادة المؤلفين يطلبونه حياً أو ميتاً.. إنهم ينتظرون رأيه المحترم في كتاباتهم المحترمة.. (ينادي) يا سيدي بديع الزمان، أين أنت؟ كل العالم في انتظارك ..(يخرج وهو يردد) سيدي بديع الزمان، أين أنت؟

3 - اقرأ (ديوان الحشاشين)

(من وراء ستارة في الخلف، تخرج ضوء المكان، وهي في زي آخر.. تقف داخل بقعة ضوء)

ضوء المكـــــان : تنتظرون أن أحييكم، أليس كذلك؟ (للجمهور) أن أقول لكم بكل احترام، صباح الخير أو مساء الخير أو زوال الخير أو أي كلام آخر فيه السعد والخير.. (بلهجة حازمة وصارمة) ولكنني لم أفعل، ولن أفعل ذلك يوماً.. (بكلام هامس) أه.. تريدون معرفة لماذا؟ اطمئنوا.. ستعرفون كل شيء.. (بغضب) قلت لكم من بعد ستعرفون، من بعد وليس الآن، ألا تسمعون؟ كل شيء لدي بأوان، نعم كل شيء، وهذا الأوان هو أوان القراءة فقط، والقراءة تحتاج إلى كتاب، والكتاب كتبه كاتب، والكاتب في أغلب الأحيان غائب، والمهم الآن هو المكتوب..آه، وهل يمكن أن يكون المكتوب إلا كلمات وكلمات تتبعها كلمات وكلمات وكلمات، (تخرج من معطفها حزمة أوراق وتتأملها.. يدخل بديع الزمان وهو يمسك أيضاً بأوراق كثيرة مبعثرة)

ضوء المكـــــان : (من مكانها البعيد، ومن غير أن ينتبه بديع الزمان إلى وجودها)يا بديع الزمان، تقول لك ضوء المكان اقرأ ..

بديع الزمـــــان : ماذا؟

ضوء المكـــــان : قلت لك اقرأ .. اقرأ.. اقرأ ذلك الذي بين يديك ولا تلتفت خلفك.. حقق في الحروف وفي الكلمات والعبارات، وإلا أنزلت عليك اللعنات..

بديع الزمـــــان : هذه الأوراق قرأتها كلها، من الألف حتى الهاء، ومن الهاء حتى الطاء، ومن..

ضوء المكـــــان : يا بديع الزمان ، ما هكذا يكون الكلام.. لا تقل قرأت، بل قل حاولت..

بديع الزمـــــان : نعم.. نعم.. أنا فقط حاولت.. حاولت وفعلت، وليس من السهل قراءة هذه الأوراق الملعونة..

ضوء المكـــان : يا بديع الزمان،تقول لك ضوء المكان إن هذه الأوراق لها اسم، تماماً كما لك اسم، ولأمك اسم، ولكل الناس أسماء، فما اسم هذه الأوراق التي بين يديك؟ ما اسمها؟

بديع الزمـــان : اسمها...اسمها ، كما هو مكتوب هنا (يقرأ) اسمها الديوان..

ضوء المكـــان : نعم، وما اسم هذا الديوان؟

بديع الزمـــان : اسمه «ديوان الحشاشين» (للجمهور) حاشاكم.. ها ها ..

ضوء المكـــان : لا تلتفت خلفك، ألا تسمع؟ لا تلتفت وإلا مسختك حجرة أو شجرة أو محبرة أو بقرة أو طنجرة..

بديع الزمـــان : ولكن، هذه كتابة لا تقرأ.. كتابة مبهمة وغريبة.. لقد كنت أظن، أنه لا أحد أغرب مني، حتى قرأت هذا الديوان الملعون..

ضوء المكـــان : أخطأت يا بديع الزمان..

بديع الزمـــان : أنا أخطأت؟

ضوء المكـــان : نعم، لأن ضوء المكان هي الأغرب دائماً.. الأغرب في كل مكان وزمان.. هكذا شاءت الطبيعة وقدر الرحمان..

بديع الزمـــان : (وهو يحاول أن يقرأ) هذه الكتابة تدعي أنها ديوان، ولكنني لا أصدق هذا، وحق اللات والعزى ومولاي بوعزة لن أصدق.. هذا كلام يشبه الكلام، وهذه حقائق بحجم الأوهام، إن من خربش هذا الكلام لا يمكن أن يكون إلا رجلاً مجنوناً..

ضوء المكـــان : مرة أخرى أخطأت.. هكذا قالت ضوء المكان لبديع الزمان..

بديع الزمـــان : غير ممكن، فأنا لا يمكن أن أخطئ مرتين..

ضوء المكـــان : إن من كتب هذا الديوان المدهش ليس رجلاً، ولا ينبغي له أن يكون كذلك..

بديع الزمـــان : ليس رجلاً ؟ إذن فهو امرأة..

ضوء المكـــان : وليس امرأة كذلك..

بديع الزمـــان : لم أفهم.. لأول مرة في حياتك يا بديع الزمان لا تفهم..

ضوء المكـــان : إنه .. إنه رجل محترمة، أو محترم .. لست أدري.. لا تلتفت

خلفك، لأنك لن تراني، ولا أحد يمكن أن يراني إلا بإذني، هل سمعت»

بديع الزمـــان : آه.. ولماذا ألتفت؟ أنا مرتاح هكذا.. (وهو ينظر في أوراقه) أنا أقول إن هذا الكاتب هو كاتب فاشل، فما قولك أنت؟

ضوء المكـــان : بل الفاشل هو أنت .. (بغضب) نعم أنت.. ولكنك لا تعرف.. نعم، أنت لا تعرف يا بديع الزمان بأنك لا تعرف، وتلك هي مأساة الجاهلين والأميين والحشاشين وأنصاف المتعلمين..

بديع الزمـــان : لست أدري بأية لغة يكتب هذا الكاتب..

ضوء المكـــان : ضوء المكان ليس رجلاً، ألا تفهم؟

بديع الزمـــان : ليس هذا هو المهم.. المهم هو هذا الخط الغريب.. (وهو يقلب الأوراق) عجباً.. إنه يكتب الحاء كما يكتب الخاء..

ضوء المكـــان : لا.. غير ممكن.. هذه جناية.. (بسخرية)

بديع الزمـــان : يا إلهي، ويكتب الغين كما يكتب العين.. (يضحك)

ضوء المكـــان : هذا تخلف عقلي..

بديع الزمـــان : وأيضاً، هو يرسم التاء كما يرسم الثاء، ولا يفرق بينهما إلا في عدد النقط.. قبحه الله من كاتب أمي.. (يضحك)

ضوء المكـــان : ظننتني عمياء فإذا الأعمى هو أنت .. رغم النظارات السوداء والعصا البيضاء، فإنني أرى.. عجباً.. أرى أنا ولا ترى أنت.. (تنزع النظارات عن عينيها وتخبئها، وتطوي العصا ، وتلقي بها جانباً) يا بديع الزمان، تقول لك ضوء المكان، ما رأيك النهائي في هذا الديوان.. انتظر.. لا تقل شيئاً حتى تفكر.. فكر أولاً، وتكلم ثانياً..

بديع الزمـــان : لقد فكرت.. فكرت وانتهيت إلى أن هذه الأوراق ليس لها معنى، وليس لها قيمة..

ضوء المكـــان : هكذا إذاً؟

بديع الزمـــان : يا عباد الله، في كل ملك الله، ألا تفهمون؟ أنا ليس لدي الوقت لأقرأ كل شيء،خصوصاً خربشات المخربشين وتفاهات التافهين. إن وقتي ليس وقتي ليس ملكي أنا، وإنما هو ملك الإبداع..

ضوء المكـــان : يا بديع الزمان، تقول لك ضوء المكان إن صاحبة هذا الديوان

(مشيرة إلى نفسها) مازالت تنتظر خارج هذا المكان..

بديع الزمــــان : آه .. تنتظر.. إن الحق في الانتظار مكفول للجميع.. نعم، للجميع، خصوصاً للفاعلين والعاطلين ولمرتكبي أحلام اليقظة المذنبين..

ضوء المكــــان : يا بديع الزمان، إن صاحبة هذا الديوان تنتظر كلمة منك، فماذا تقول لها؟

بديع الزمــــان : قولوا لها.. لعنة الله عليها..

ضوء المكــــان : علي أنا؟

بديع الزمــــان : لا، بل عليها هي أو عليه هو.. لست أدري.. أعطوها أوراقها أو أوراقه واطردوهما .. خذوا.. هذا هو (ديوان الحشاشين) حاشاكم .. (يضحك)

ضوء المكــــان : هذا الرجل مصيبة، والجهل ابن الكلب دائماً وراء كل مصيبة..

بديع الزمــــان : إنني أعترف بأنني حقا حشاش .. حشاش محترم.. ولكنني أنزه نفسي عن قراءة مثل هذه السموم القاتلة.. انظروا .. هذا هو الديوان المسرحي المدنس.. (يرمي بالأوراق في السماء.. يخرج وهو يضحك)

ضوء المكــــان : (وحدها) مخرج جاهل وتافه ومغرور، وكل المخرجين مغرورون .. اذهب لا ردك الله.. إن أخطر الجاهلين هو من يجهل جهله، وأكبر الأميين هو من لا يعرف نفسه .. إنه لا يراني، ولكنني أنا أراه.. نعم، إنه أيضاً لا يعرفني، ولكنني أنا .. أنا أعرفه، وأعرفكم كذلك، وأعرف كل الناس.. إنني أعد الصابرين منكم بالمفاجآت، سأكشف لكم أسراراً عجيبة، فاصبروا وصابروا، ولا تستعجلوا الأدباء من أمثالنا.. اعلموا أن كل شيء بأوان. قلت كل شيء.. وهذا الأوان هو أوان الاشتغال، فانظروا معي.. انظروا كلكم كيف يشتغل هذا المخرج المجنون الذي يسمى خطأ بديع الزمان.. (تنزع معطفها الكبير، وتلقي به جانباً.. تختفي بقعة الضوء، فتختفي ببقعة الضوء أيضاً)

4 - ما أروع فني جل شأني ..

(يدخل بديع الزمان وهو يتأبط ملفاً ضخماً، وهو يمشي بسرعة عنيفة تتساقط الأوراق من الملف، يلتقطها موهوب ويعطيها لصاحبها الذي يضعها في الملف، لتسقط بعد ذلك)

بديع الزمـــان : (يلقي بالملف جانباً ويصفق بيديه) أنت.. تعال.. نعم أنت.. اصعد إلى فوق بسرعة.. لا .. ليس أنت أيها المغفل.. أنت.. أريد منك أن تنزل .. تنزل .. انزل إلى حفرة الملقن وابق هناك..

الممثـــــــــل : أبقى هناك؟ إلى متى يا بديع الزمان؟

بديع الزمـــان : آه .. يسألني إلى متى.. (يحك رأسه) إلى متى يا بديع الزمان؟ إلى أن يأتي من يذكرني بك.. وأنت أيها التقني.. ماذا تنتظر؟

موهـــــــــوب : والتقني هو أنا..

بديع الزمـــان : أعطني إضاءة أخرى.. أريد النهار، ألا تسمع؟

موهـــــــــوب : يا بديع الزمان يهديك الله، كيف أعطيك النهار؟

بديع الزمـــان : كيف؟ قلت كيف؟ ها ها.. ذلك شغلك يا موهوب، فكر واجتهد ودبر أمرك، فالتقني هو أنت وليس أنا.. لقد طلبت النهار، من غير شمس، إذن اعطني النهار، وبسرعة، هل سمعت؟

موهـــــــــوب : كيف أعطيك النهار.. أنا لست رب العالمين..

بديع الزمـــان : أنت لست أي شيء .. أنت تقني فاشل، فعد إلى مكانك.. عد تصحبك اللعنة الأبدية.. (يبقى موهوب واقفاً في مكانه)

بديع الزمـــان : (يخاطب أشخاصاً وهميين) وأنتم .. يا أيها المساعدون المقربون.. أكثروا لي من الطرابيش.. لا شيء أجمل من الطرابيش ومن الحشيش..

موهـــــــــوب : مائة طربوش تكفي يا بديع الزمان؟

بديع الزمـــان : ما.. مائة طربوش؟ أنت تسخر مني بلا شك؟

موهـــــــــوب : أبداً .. أبداً يا سيدي المخرج المحنك.. وما رأيك في مائتين كبيرتين؟

بديع الزمـــان : قليل جداً هذا العدد.. قليل وصغير وحقير، وأنا مخرج كبير وخطير..

موهـــــــــوب : اسمع .. أزيد عشرين طربوشاً، وسيكون هذا آخر كلام عندي.. هيه.. ماذا تقول؟

بديع الزمـــان : ماذا أقول؟ أقول لا إله إلا الله محمد رسول الله و .. (الله يربح)

موهـــــــــوب : اتفقنا إذاً؟ (يريد أن ينسحب)

بديع الزمـــان : تعال هنا.. أنا لم أكمل كلامي بعد .. لدي مطالب أخرى.. ملف مطلبي في حجم همي..

موهـــــــــوب : يا بديع الزمان.. قل كل ما لديك دفعة واحة، ودعني أنصرف..

بديع الزمـــان : وأريد أيضاً، يا حبيبي موهوب المحافظ، أن تكثر لي من اللحى الملونة .. اللحى السوداء لا أريدها.. هل فهمت؟ لأنها غير مسرحية ولا جمال فيها.. أريد لحى صفراء تليق بالبالغة الصفراء، وأريد لحى خضراء تليق بالعمامة الخضراء، وأريد لحى زرقاء تليق بالليالي الحمراء، وأريد لحى أخرى وردية وبنفسجية وعسلية وزبدية وقمحية .. (منتبهاً فجأة لشيء) يا ويلتاه.. ما هذا العجب الذي أراه؟

موهـــــــــوب : ماذا رأيت يا بديع الزمان؟

بديع الزمـــان : هذا الشعر الذي في وجهك يا موهوب..

موهـــــــــوب : (وهو يتحسس لحيته) ماذا به؟

بديع الزمـــان : إنه شعر غير مسرحي، فمن يكون هذا الذي ركبه في وجهك؟ قل .. من هو؟

موهـــــــــوب : هي .. هي لحيتي يا بديع الزمان.. وحق الله هي لحيتي..

بديع الزمـــان : لحيته؟ ها ها.. هذا زعم باطل وكاذب، ولا يمكن أن أصدقه .. أتظن أنني لم أرَ لحية من قبل.. اذهب .. اذهب وغيرها..

موهـــــــــوب : قلت لك هي لحيتي، فكيف أغيرها؟

بديع الزمـــان : لدينا في المخزن أحسن منها. اذهب إلى هناك وفتش .. فتش عن لحيتك الحقيقية.. اذهب ..

موهـــــــوب : هذه لحيتي يا بديع الزمان، وقد ربيتها..
بديع الزمـــان : عجباً .. ربيت لحيتك؟
موهـــــــوب : أي نعم..
بديع الزمـــان : ونسيت أن تربي نفسك.. ها ها .. (يخرج موهوب) (وهو وحده) يا إلهي .. ما أروعني، وما أعظم علمي وفني.. أنا الواحد الأوحد، وأنا النجم الأبعد، وأنا السعيد والأسعد.. أنا العبقرية التي ليس لها حد.. سأصنع واقعاً سحرياً، وأعطي لهذا الوجود جمالاً إضافياً.. آه..صدق من سماك يا أنا بديع الزمان.. إن ما سأصنعه الآن، لم يأت به من قبل إنس ولا جان، ولا خطر على بال فنان كيفما كان وأينما كان..يا لالاللي أمان.. (يغني) يا لالاللي أمان .. (يدخل موهوب وهو في زي سجين)
موهـــــــوب : يا بديع الزمان .. هذا الزي المسرحي أكبر مني .. انظر..
بديع الزمـــان : آه .. فعلاً .. هو أكبر منك.. إذن جرب غيره يا موهوب..
موهـــــــوب : وكيف؟ ومن أين؟ نحن ليس لدينا إلا هذا..
بديع الزمـــان : الأمر سهل يا موهوب.. أسهل مما تظن.. جرب لبس القاضي مثلاً، وإذا كان على مقاسك، فكن أنت القاضي..
موهـــــــوب : ماذا قلت يا بديع الزمان؟
بديع الزمـــان : ما قلته أنا، سمعته أنت.. سمعته جيداً أيها اللئيم، إذاً ابتعد عني .. ابتعد، وعد إلى عملك.. هيا.. (يريد أن يخرج موهوب فيمسك به) تعال هنا أيها التقني التعس..
موهـــــــوب : يا بديع الزمان ..أنا لست التقني..
بديع الزمـــان : بل أنت هو، وهو أنت.. لقد قلت كلمتي، ولا يمكن أن أسحبها أبداً .. اسمع.. أوقد لي ناراً حامية.. أوقدها حالاً حالاً ..
موهـــــــوب : أوقد النار. هنا يا بديع الزمان؟
بديع الزمـــان : نعم.. هنا.. ألا تعرف أن هذه خشبة، وأنه لا شيء أحب إلى النار من الخشب؟
موهـــــــوب : تصور يا بديع الزمان أنني أوقدت النار.. انظر.. ها هي ذي ألسنة اللهب تتراقص أمام أعيننا، فماذا يمكن أن أفعل الآن؟

بديع الزمـــان : ماذا يمكن أن تفعل؟ الق بنفسك في النار.. وبسرعة يا موهوب.. بسرعة.. ألم تسمع قول من قال، إن من يحفر حفرة يسقط فيها، وإن من يوقد ناراً يحترق بها.. ها ها .. سيكون مشهد الاحتراق رائعاً وبديعاً.. ومضحكاً ومسلياً أيضاً.. (يغني) أتقلب على جمر النار .. على جمر النار..

موهـــــــــوب : يا ويل أمي.. أتريدني أن أحترق يا بديع الزمان؟

بديع الزمـــان : لا تخف يا جبان، فأنت لن تحترق إلا مسرحياً، ونارك لن تكون إلا ناراً مسرحية، هي نار وليست ناراً..

موهـــــــــوب : إنك تدفع بي إلى الموت أيها المجرم..

بديع الزمـــان : لا تصرخ هكذا.. ألا تعرف أيها المغفل أن الممثلين لا يموتون؟

موهـــــــــوب : م ... م... ماذا؟

بديع الزمـــان : نعم، لا يموتون.. وإذا حدث وماتوا، فإنهم لا يموتون موتاً نهائياً.. إنهم يموتون في هذه المسرحية أو في تلك المسرحية، أما في المسرحيات الأخرى فأنت تجدهم أحياء.. نعم أحياء وعند المحاسب يرزقون.. هيا .. هيا .. أوقد النار والق نفسك فيها.. إنه لا شيء أجمل من النار وأنت فيها..

موهـــــــــوب : (يأتي بحركات إيمائية) انظر يا بديع الزمان .. لقد أوقدت النار.. نعم أشعلتها، ألا تراها؟

بديع الزمـــان : بلى .. بلى.. إنني أراها..

موهـــــــــوب : إنني أقف في وسط اللهب الأحمر.. أقف هكذا، تغمرني الفرحة الكبرى، وتلسعني المصائب الكبرى ..

بديع الزمـــان : إنني حقا أرى النار، ولكنني لا أراها بشكل جيد.. ربما كان هذا بسبب جود النهار وضوء النهار.. أنزل هذا الضوء يا موهوب.. أنزله بسرعة، ألا ترى أنه يصادر ضوء النار .. أريد الليل.. أعطني الليل..

موهـــــــــوب : أعطيك الليل؟

بديع الزمـــان : نعم.. وركب لي في هذا الليل قمراً مستطيلاً أو مربعاً أو مكعباً.. أريد قمراً أخضر .. وأريد أن تميل خضرته قليلاً إلى الصفرة والحمرة..

موهـــــــوب : يا ويل أمي.. لقد جن الرجل .. جن هذه المرة جنوناً رسمياً..

بديع الزمـــان : اعطني جواً شاعرياً يا موهوب..

موهـــــــوب : أعطيك؟ العاطي هو الله وحده..

بديع الزمـــان : أريد جواً هادئاً ومطمئناً وشفافاً.. إن من حق الأعصاب المتعبة في هذا الزمن المتعب أن ترتاح.. ومن حق القلوب المدمرة أن تنعم بالأفراح وبالليالي الملاح.. هيئ لي يا موهوب فضاء آخر، وأعطني إنسانا غير هذا.. مع هؤلاء الناس السيئين لا يمكن أن أفعل شيئاً جيداً.. تطلبون مني إبداعاً عظيماً.. ولكن بمن؟ بمن؟ بهذا الموهوب الذي ليس موهوباً (مشيراً إلى موهوب)

موهـــــــوب : لا .. هذا كثير.. كثيراً جداً.. ينبغي أن أفعل شيئاً، وأخبر السيد المدير .. موهوب الآخر ينبغي أن يعرف.. يعرف كل شيء، وإلا خسرت أنا كل شيء.. (يخرج)

بديع الزمـــان : يا أيها المحتفلون .. هنا والآن وفي كل مكان وزمان، كيف تنامون في خوف، وترقصون بلا أفراح؟ كيف تسعدون بلا سعادة، وتموتون بلا شهادة، وتطربون بلا أنغام ولا ألحان شجية؟ كيف؟ افرحوا أولاً.. فرحاً حقيقياً وليس مزيفاً، ثم احتفلوا بعد ذلك.. الفرح أولاً.. الفرح أولاً .. الفرح أولاً .. (ظلام تام.. تسمع قهقهة ضوء المكان في الظلام)

5 - حان أوان الخروج ..

(بعد عودة الإضاءة، يكون بديع الزمان قد اختفى من المسرح.. وحدها ضوء المكان تقف في أعلى مكان وفي أقصى مكان، وهي تضحك.. تظهر هذه المرة وهي ترتدي زياً آخر..تمسك بيدها محفظة جلدية كبيرة جداً)

ضوء المكـــــان : إنني أضحك.. نعم أضحك.. ولأول مرة أضحك، ولا أظنني بعد الآن يمكن أن أضحك.. إنني أضحك على حمق هذا الزمان.. عفواً.. إنني أضحك على بديع الزمان.. إنه.. (تضحك) لن أقول إنه مجنون، لأن الجنون أكبر منه وأشرف منه وأنبل منه.. الجنون الحق منحة ربانية، إنه .. لا .. لن أقول شيئاً.. من بعد؟؟ قلت من بعد.. ألا تسمعون؟ أما الآن فلا ولا وألف لا وكلا .. كل شيء لدي بأوان وهذا الأوان هو أوان الخروج.. نعم، قلت الخروج.. خروج الروح من الجسد، وخروج الجسد من الباب، ولكن.. أين هو الباب؟ إنني لا أراه، فأين هو؟ أريد أن أخرج .. المسرح هو هذا، واحد يدخل وآخر يخرج ، واحد يحضر والثاني يغيب.. هذا الفضاء محدود.. محدود وضيق ولا يمكن أن يسع الجميع.. سأخرج الآن.. ولكنني حتماً سوف أعود.. إنني دائماً موجودة، فلا تنسوا هذا.. لا تنسوه.. لأن قمة المأساة أو الملهاة تكمن في النسيان دائماً.. نسيان ضوء المكان التي لا يخلو منها مكان.. إذا حضرت أو غبت فإنني موجودة، وإذا ظهرت أو اختفيت فإنني موجودة أيضاً.. موجودة وفي يدي حقيبتي.. وفي حقيبتي تسكن أوراقي، وفي أوراقي تختبئ كلماتي، وفي كلماتي تعيش أسراري.. أسراري التي تقف خلف الباب وخلف الحجاب ولكن.. أين الباب؟ ها هو الباب قد جاء إليكم، فادخلوه.. ادخلوه

(تخرج من جهة ليدخل العامل من الجهة الأخرى، وهو يدفع باباً متحركاً.. يدخل موهوب خلفه وهو في زي ودور مدير المسرح .. يدخل بعدهما بديع الزمان وهو يجري)

بديع الزمـــان : إيه.. ماذا تفعل أنت؟

موهـــــــوب : إنه يدفع الباب.. ألا ترى ذلك؟ الباب الخلفي للمسرح..

بديع الزمـــان : آه .. الباب.. أنا ظننته يدفع .. الباب.. (يقول الكلمة الثانية بشكل مختلف) ولماذا الباب يا موهوب؟

موهـــــــوب : لماذا؟ سؤال غريب..

بديع الزمـــان : قصدت أن أقول.. ماذا تريد أن تفعل بهذا الباب؟

موهـــــــوب : سبحان الله، ألا تعرف ماذا يفعل الناس بالأبواب يا بديع الزمان؟

بديع الزمـــان : آه.. أخيراً عرفت .. والصحيح أن أقول.. أظن أنني عرفت.. نعم، أظن..

موهـــــــوب : والحمد لله أنك عرفت.. أو ..

بديع الزمـــان : لقد أوجد الناس الأبواب حتى يشتغل النجارون..

موهـــــــوب : خطأ..

بديع الزمـــان : أو .. حتى يدخل ويخرج منها السارقون..

موهـــــــوب : لا. أنت تدعي الغباء يا حشاش..

بديع الزمـــان : آه فهمت.. أخيراً فهمت..

موهـــــــوب : ماذا فهمت يا بديع الزمان؟

بديع الزمـــان : لقد أحضرت أنت هذا الباب، حتى يقف عنده البوابون.. نعم .. نعم، إنه لا يعقل وجود بواب بلا باب.. أليس كذلك يا موهوب.. المحبوب؟

موهـــــــوب : أنت أحمق.. أنت مجنون.. أنت مصيبة.. أنت كارثة.. أنت لا تعرف شيئاً.. أو لا تريد أن تعرف شيئاً..

بديع الزمـــان : والله يا سيدي موهوب.. المحبوب، لست أدري ماذا أقول لك..

موهـــــــوب : لا تقل شيئاً.. رجاء لا تقل شيئاً..

بديع الزمـــان : مهما يكن علمي كبيراً وخطيراً، فإنه لا يمكن أن يكون أكبر من علمك، فأنت هنا السيد والمولى..

موهـــــــوب : آه.. الحمد لله أنك مازلت تعرف من أنا..

بديع الزمـــان : أنت المدير.. المدير الكبير الذي يسير هذا الـ.. مرة أخرى نسيت..

موهـــــــوب : وأنت.. هل تذكر من أنت؟

بديع الزمـــان : شيء طبيعي أنني أتذكر من أنا.. أنا يا سيدي واحد من خدامك الأوفياء والتعساء..

موهـــــــوب : إذن اسمع.. اسمع جيداً يا بديع الزمان والعصر والأوان.. لقد أحضرت هذا الباب لأطردك.. أنت تعرف.. أنه بغير باب لا معنى للطرد.. أليس كذلك يا عبقري؟

بديع الزمـــان : تطردني؟ ولكن.. لماذا؟ وماذا فعلت؟ وماذا جنيت؟

موهـــــــوب : لا شيء.. أنت لم تفعل شيئاً..

بديع الزمـــان : لم أفهم يا سيدي المدير..

موهـــــــوب : أنت لم تفعل شيئاً، ولهذا فإنني أطردك، هل فهمت الآن يا بديع الزمان؟

بديع الزمـــان : الله أكبر.. إذن فأنا بريء .. بريء يا سيدي، وحق اللات والعزى ومولاي بوعزة.. أنا ..الآن يحق لي أن أفرح ، فقد ظهر الحق، وزهق الباطل.. تعال أقبل رأسك يا .. موهوب المحبوب.. تعال..

موهـــــــوب : ابتعد عني، ولا تقبل رأسي..

بديع الزمـــان : لا أقبل رأسك؟ هل تريد أن أقبلك من فمك؟ إذن تعال يا ..

موهـــــــوب : ابتعد عني.. أنا في حاجة لمن يعمل، ألا تفهم؟

بديع الزمـــان : حتى التقبيل عمل يا سيدي موهوب.. عمل جميل ونبيل..

موهـــــــوب : اخرج من هذا الباب يا بديع الزمان.. اخرج..

بديع الزمـــان : أخرج؟ لا أقدر يا سيدي..

موهـــــــوب : اخرج من مسرحي وعالمي وكوني.. اخرج ولا تعد إلي مرة أخرى.. اخرج أيها الحشاش الغشاش.. لقد غضبت عليك وعلى ذريتك من بعدك.. اخرج فقد حقت عليك لعنتي الأبدية.. إنه لا مكان للحشاشين في هذه الدنيا.. هل سمعت؟

بديع الزمـــان : في هذه الدنيا ؟ أية دنيا يا سيدي المدير؟

موهـــــــوب : دنيا المسرح يا حشاش/ ومسرح الدنيا.. مسرحي أنا.. اسمع يا بديع الزمان.. يحق لك أن تنسى كل شيء.. نعم كل شيء، إلا شيئاً واحداً، وهو أنني رب هذا المسرح..

بديع الزمـــان : سبحانك سبحانك، ما أعظم مسرحك يا مولانا الذي في الأرض.. في الأرض وليس في السماء..

موهــــــــوب : الزيارة انتهت، يمكنك أن تعود إلى بيتك.. تفضل.. رافقتك السلامة..

بديع الزمـــان : سيدي.. قبل أن أعود إلى بيتي، وتعود أنت إلى برجك، أريد أن أقول كلمتين، فهل تسمح ؟

موهــــــــوب : يمكنك أن تقول ثلاث كلمات..

بديع الزمـــان : شكراً يا مولانا موهوب على هذا الكرم..

موهــــــــوب : أو قل أربع كلمات.. قل كل ما لديك.. قله وانصرف إلى غير رجعة..

بديع الزمـــان : ما هذا؟ إنني أراك.. ماذا أقول يا ربي؟ كأنك غاضب يا مولانا موهوب..

موهــــــــوب : كأنني غاضب.. نعم، كان هذا أول، فماذا عن الباقي، تكلم وارحمني..

بديع الزمـــان : ثانياً.. أظنني قد فهمت شيئاً من الأشياء..

موهــــــــوب : ماذا فهمت؟

بديع الزمـــان : آ .. فهمت لماذا أحضرت الباب يا خبيث..

موهــــــــوب : أخيراً جاء الفرج..

بديع الزمـــان : تريد أن تطردني من مسرحك، أليس كذلك يا ولد الحرام؟

موهــــــــوب : تماما.. أريد أن أطردك..

بديع الزمـــان : ولكن مثل هذا الفعل لا يليق بك.. إنه فعل الجبناء التافهين وأنت لست منهم، أنت من الجبناء غير التافهين، ألا تعرف هذا؟

موهــــــــوب : ماذا؟ أتشتمني في حضوري أيها الملعون؟

بديع الزمـــان : يا موهوب المحبوب، أنت رجل محترم.. نعم، محترم لولا أنك غير محترم، ثم إنك رجل خطير رغم أنك حقير.. أنت المدير هنا، ولو لم تكن أنت المدير لكنت أنا أو كان أي أحد غيرنا.. وكل مسرح يا سيدي لابد له من مخرج، والمخرج هو أنا.. ولأنني المخرج، فإنه لا يعقل أن أخرج.. اخرج أنت إذا

شئت، أما أنا فلا ولا وألف لا وكلا..
موهـــــــــوب : أرجوك..أتوسل إليك.. ابتعد عني.. اخرج من هذا المسرح.. اخرج منه قبل أن (تخرج) علي عليه وعليه..
بديع الزمـــان : ولكن.. لماذا؟ من حقي أن أعرف..لماذا أخرج وأنا بريء .. بريء مثل براءة الذهب من دم بني كلبون..
موهـــــــــوب : لقد أكلت منها أيها المذنب العاصي..
بديع الزمـــان : أكلت منها؟ آ.. تقصد التفاحة المحرمة؟ ليكن في علمك يا سيدي أنني لست الجد آدم..(يضحك)
موهـــــــــوب : أنا أقصد العشبة الممنوعة والمحرمة، والتي من بين أسمائها الحشيش.. أنت حقاً فنان مبدع، ولكنك فنان غير منضبط، وتنقصك روح المسؤولية، وتلك هي المشكلة.. ألف مرة أنذرتك وحذرتك، ولكنك لا تسمع، أو لا تريد أن تسمع.. إنني لا أفهم..
بديع الزمـــان : حتى أنا لا أفهم..
موهـــــــــوب : لماذا تتناول الحشيش يا بديع الزمان؟ لماذا؟ هل أنت دابة من الدواب؟ هل أنت بهيمة من البهائم؟
بديع الزمـــان : أنا دابة بشرية وبهيمة آدمية .. ها ها..
موهـــــــــوب : (يكلم العامل الذي في الكواليس) تعال أنت .. نعم أنت .. (يدخل العامل) ادفع هذا الباب وعد به إلى مكانه.. هذا المشهد انتهى.. نعم انتهى ولم يبق سوى أن أقول وداعاً..
بديع الزمـــان : (يمسك بثيابه) لا لا .. بالله لا تقلها.. لا تقل وداعاً أرجوك.. أتوسل إليك.. ارحمني وارحم ضعفي، وارحم دموعي ودموع امرأة أرملة..
موهـــــــــوب : ماذا يقول هذا المخلوق الحشاش؟
بديع الزمـــان : يا موهوب.. المحبوب رغم كل شيء ألا تعرف أعزك الله بأنني من عائلة تعسة ومنكوبة؟
موهـــــــــوب : أنت؟
بديع الزمـــان : ألم أقل لك؟ أبي مات..
موهـــــــــوب : أعرف.. أبوك مات وأنت ستلحق به قريباً..
بديع الزمـــان : وأمي الآن يتيمة، وأنا أصبحت أرمل.. أرمل ويتيم.. وأختي

يتيمة وأخي يتيم وعمي يتيم وحتى جارنا عبد الجبار يتيم، نحن كلنا في العائلة يتامى ومساكين.. (يبكي بتصنع .. يخرج موهوب ويبقى بديع الزمان وحده) يا ويلتاه .. أين أذهب، وليس لي بيت غير هذا البيت؟ أين أذهب؟ أين أذهب؟

(يخرج . ظلام)

6 - ذكرني بالله عليك من أنت ومن أنا..

(يدخل عمال المسرح لسحب عناصر المشهد السابق.. تقف ضوء المكان وسط الحركة من غير أن ينتبه إليها أحد من العمال، وكأنه لا أحد يراها، أو لا أحد يريد أن يراها.. بعد لحظات يصبح المسرح فارغاً تماماً)

ضوء المكـــان : (وهي تتأمل الفضاء الفارغ) لقد تغير المكان.. نعم.. حتى هذا المسرح تغير.. إنه مسرح آخر.. مسرح غير ذلك المسرح.. إنه بناية أخرى، وفضاء آخر، وجنون آخر و.. موهوب آخر.. آه من هذا الموهوب.. إنه مثلي، لا يمكن أن يخلو منه مكان أو زمان (يرن جرس المسرح إيذاناً بقرب بداية المسرحية) هس.. المسرحية ستبدأ بعد حين.. (في أحد زوايا المسرح تسقط بقعة ضوء على رجلين) هذا هو سيف الرحمن الممثل.. (مشيرة إلى أحد الرجلين)

سيف الرحمن : ماذا قلت يا.. لم أسمعك جيداً(وهو في زي مسرحي ينتمي لحقبة تاريخية قديمة)

عريـــــــــس : أنا؟ أنا لم أقل شيئاً..

سيف الرحمن : عجباً.. كأنني سمعتك تقول، هذا هو.. أو هو هذا.. لست أدري..

عريـــــــــس : لا.. يخيل إليك فقط.. هكذا هم الممثلون دائماً، يتوهمون كل شيء، خصوصاً في اللحظات الحاسمة مثل هذه..

سيف الرحمن : (في الجانب الآخر) أما هذا الرجل، فهو مدير الخشبة، واسمه عريس..

عريـــــــــس : كان من المفروض أن تسمى أنت العريس.. نعم أنت وليس أنا، فهذا الحفل البهيج هو أساساً عرس الممثل .. عرسك أنت.. إذاً، ماذا تنتظر أيها البطل المغوار؟ المسرح هو هذا، فادخل عوالمه المضاءة بالأنوار..

سيف الرحمن : أدخل؟ وماذا أقول لكل هؤلاء لناس؟ لقد ضيعت كل شيء..

عريـــــــــس : غير ممكن.. أنت تمزح بلا شك..

سيف الرحمن : أبداً.. وحق الله لقد ضيعت روحي وجسدي، وهربت مني كل

الحروف والكلمات وهجرتني كل العبارات وكل الحوارات..
أين أنت يا..؟ حتى اسمك ضيعته.. أسعفني يا حامل الكتاب.. بحق السماء أسعفني..

عريـــــــــس : ماذا تريد يا سيف الرحمن؟ (وهو يحمل كتاباً كبيراً بين يديه)

سيف الرحمن : ذكرني.. بالله عليك، من أنت، ومن أنا، وأين أنت وأين أنا؟ ومن يكون كل هؤلاء الناس؟ قل لي أيضاً، ماذا سأفعل، وماذا سأقول؟

عريـــــــــس : اسمع.. أنت في الأصل اسمك سيف الرحمن..

سيف الرحمن : هذا شيء أعرفه.. فهات غيره..

عريـــــــــس : جمل إذاً.. جميل جداً.. أما اسمك في هذه المسرحية فهو.. انتظر.. (يفتح الكتاب ويقرأ) آه.. اسمك خيبان..

سيف الرحمن : (يضحك) والله صدقت.. أنا لا يمكن أن أكون إلا خيبان، وخيبان العظيم لا يمكن أن يكون إلا أنا.. يا إلهي.. كيف لم أنتبه لهذه الحقيقة، مع أنها واضحة وضوح خيبتي الأبدية..

عريـــــــــس : يا سيف الرحمن.. الآن لا تقل شيئاً.. يكفيك أن تفتح أذنيك.. وأن تسمع جيداً ما أقول.. هل فهمت؟

سيف الرحمن : أقول فهمت، والله أعلم..

عريـــــــــس : أنت الآن عائد من بلاد بعيدة.. إيه.. ماذا تنتظر؟ افتح قلبك وذراعيك لأهلك وصحبك في وطنك.. هكذا.. (يفتح ذراعيه)

سيف الرحمن : (يعانقه) هكذا؟

عريـــــــــس : لا .. لا تلمسني أنا، فأنا لست من أهلك، ولا من عالمك المسرحي.. إن أهلك هم الذين هناك.. على الخشبة وتحت الأضواء، هل فهمت؟

سيف الرحمن : لم يبق إلا القليل جداً وأفهم..

عريـــــــــس : لقد عدت اللحظة من بلاد الغربة.. عدت بعد سنوات طويلة من الغياب.. من حقك أن تمتلئ يا خيبان أن تمتلئ شوقاً وحنيناً، وأن يفرح قلبك باللقاء، وأن تدمع عيناك..

سيف الرحمن : يا إلهي.. سيكون الموقف مؤثراً بلا شك، خصوصاً وأنا أرتمي في حضن أمي وأبكي بكاء مراً.. أبكي أنا وتبكي هي، وتبكي معنا السماء، وتبكي الرياح، ويبكي كل الناس في المسرح..

عريـــــــــس : يا خيبان.. أنت لم تعد لك أم .. أمك ماتت قبل أن ترحل إلى بلاد الغربة..

سيف الرحمن : ماتت؟ كيف ماتت؟ ولماذا ماتت؟ أريد أن أعرف، ثم أيضاً، من الذي أماتها؟ وبأي حق؟

عريـــــــــس : ماذا أقول لك؟ تلك إرادة المؤلف يا خيبان، ولا إله إلا الله..

سيف الرحمن : المجرم.. قتلها المجرم.. قتل أمي .. لقد سماني خيبان، وغربني عن الأهل والأوطان، وحرمني من الدفء والحنان.. (يبكي) يا ويح عمري.. أنا الغريب اليتيم.. أنا اللعين الرجيم.. أنا الجريح السقيم.. إنني أحتج.. أحتج يا عريس، ألا تسمع؟

عريـــــــــس : لقد سمعت.. سمعت، فلماذا تصرخ؟

سيف الرحمن : أنا وحدي الذي أعرف، لماذا أصرخ.. أصرخ وأبكي وأندب حظي التعس.. اسمع أنت يا..

عريـــــــــس : عريس .. اسمي عريس..

سيف الرحمن : اسمع يا عريس، أبلغ مؤلفك الفاشل بأنني أحتج عليه..

عريـــــــــس : تحتج عليه؟ ماذا أقول لك يا.. خيبان أو يا سيف الرحمن؟ والله لقد احترت كيف أسميك وأناديك..

سيف الرحمن : إنني أحتج عليه، وأحتج على كل المؤلفين السفاكين.. إنهم كلهم عصبة مجرمين وعصبة مجانين.. إنهم يوزعون العاهات العاهات بالمجان، ويزرعون بذور الموت في كل مكان.. الموت الموت لكل المؤلفين..

عريـــــــــس : يا ويلي.. ماذا شرب هذا الرجل؟

سيف الرحمن : أنا لم أشرب شيئاً.. ولكنني أكلت.. أكلت والحمد لله حتى امتلأ رأسي.. ها ها..

عريـــــــــس : يا .. يا هذا الرجل.. (وهو يقلب أوراق الكتاب) من أين أتيت بهذا الكلام؟ إنه غير موجود هنا..

سيف الرحمن : آه .. من أين؟ أتيت به من هنا.. (مشيراً إلى صدره) من

قلبي، ولا شيء أصدق من قلبي إلا .. قلبي.. الق كتابك يا عريس .الق به في النار، واقترب مني.. اقترب لتسمع أحلى الكلام وأبهى الكلام..

عريـــــــــس : يا خيبان.. انظر.. لقد فتحت الستارة.. استعد للدخول.. استعد..

سيف الرحمن : (محتجاً) خيبان؟ أنا اسمي سيف الرحمن..

عريـــــــــس : أعرف.. أعرف.. أنت اسمك سيف الرحمن ولكن .. ليس هنا، وليس الآن.. هل فهمت؟

سيف الرحمن : نعم فهمت.. وكل المتاعب لا تأتيني إلا لأنني فهمت.. ليتني يا ربي ما عرفت شيئاً، ولا فهمت شيئاً، وكنت في هذا الوجود نسياً منسياً..

عريـــــــــس : إذن ادخل.. ادخل يا سيف الرحمن.. الجمهور ينتظر..

سيف الرحمن : نعم .. سأدخل، ولكن.. ألا ترى معي يا أخي عريس، بأنه ينبغي الإعلان عن هذا الدخول أولاً؟ الإعلان عنه مثلاً بموسيقى تقديمية، أو بدقات الطبول، فنسمع .. طرررررر .. ثم أدخل أنا. أدخل دخول النجوم الكبار تحت عاصفة من التصفيق والزغاريد والهتاف..

عريـــــــــس : يا سيف الرحمن أو يا خيبان.. ادخل أنت، ولا تهتم بشغل غيرك.. ادخل ..

سيف الرحمن : أبداً.. أبداً لن أدخل .. الضوء أولاً.. المسرح مظلم يا عريس وهو في حاجة إلى الكثير من الضوء، وإذا دخلت هكذا، فلن يراني أحد.. إنني أعرف أنه لا معنى للمعجزات إن كان لا يراها أحد.. أعطوني الضوء حتى أرى الناس ويراني الناس..

عريـــــــــس : ادخل..(يدفعه بحركة قوية ثم يختفي..)

7 - الخروج من الغربة إلى الغربة..

(يضاء المسرح كله.. تصفيق جمهور وهمي يصاحبه عزف موسيقا)

سيف الرحمن : (وهو يحيي جمهوره الوهمي.. يهمس لنفسه) وبعد التحية والسلام على خير الأنام، لابد أن أقول شيئاً.. آه.. إنني أراهم ينظرون إلي.. ينتظرون أن أقول كلاماً، وأن أفعل شيئاً.. المهم الآن هو رأس الخيط.. هو البداية، ولا شيء صعب في مهنتنا إلا البداية.. يا ذاكرتي.. بالله أسعفيني.. (في فرح) حمداً وشكراً لك يا الله.. أخيراً تذكرت.. (يمثل) الله الله .. ما أجمل العودة إلى الوطن.. سنوات القهر في الغربة قتلتني ودمرتني تدميراً.. انظروا إلي.. هل فيكم من يعرفني؟ لقد تغيرت كثيراً بلا شك.. كنت إنساناً وأصبحت شبحاً.. كان اسمي سيف الرحمن وأصبحت ظلاً من ظلال الشيطان.. يا لغرابة الدنيا ولعبة الزمان.. (ينتبه فجأة لما يقول) ويلي.. ما هذا الذي أقول؟ أظنه حواراً من مسرحية أخرى، أو من فيلم هندي.. يا رب العالمين.. أأكون عارفاً باللغة الهندية وأنا لا أدري؟ ثم أيضاً.. أين أنا؟ ومن أنا؟ وماذا أفعل هنا؟ ومن أنتم الذين تنظرون إلينا؟ وحق الله، أنا ما أتيت بمحض إرادتي، ولو خيروني ما كنت جئت.. ذلك الملعون دفعني دفعاً، وأدخلني إلى هذه البلاد الغريبة.. (ينادي بأعلى صوته) يا صاحب الكتاب.. دلني على الباب.. أريد أن أهرب.. (يلتفت خلفه وكأنه يبحث عن شيء) يظهر أنني ضيعت شيئاً.. يدي اليمنى كان بها شيء مصنوع من شيء وبداخله أشياء.. (يلقون إليه من الكواليس بصرة) وجدتها.. وجدتها، أو هي التي وجدتني.. لست أدري.. الرزق الحلال لا يمكن أن يضيع أبداً.. أليس كذلك يا أولاد الحلال؟

عريـــــــــس : (يخرج رأسه من حفرة الملقن) عد إلى النص.. عد إلى المسرحية.. المفروض أن تدخل الآن بيتك..

سيف الرحمن : تماماً.. أنا أيضاً اشتقت إلى بيتي وإلى أولادي..

عريـــــــس : يا خيبان.. أنت ليس لديك أولاد..

سيف الرحمن : غير ممكن..

عريـــــــس : لقد ماتوا كلهم في حادثة سير، ألا تذكر؟

سيف الرحمن : يا ويلي.. أيكون معنى هذا أنني لن أرى إلا أمهم؟

عريـــــــس : حتى أمهم ماتت..

سيف الرحمن : الله أكبر..إذاً مادام الأمر هكذا، فهذه ليست مسرحية.. إنها فيلم هندي طويل وممل..

عريـــــــس : (يقرأ في الكتاب) إنها فيلم هندي.. هذا الكلام غير موجود في النص يا خيبان..

سيف الرحمن : يا إلهي.. ما أتعس هؤلاء المؤلفين..

عريـــــــس : ادخل بيتك يا خيبان .. ادخل بسرعة..

سيف الرحمن : حقاً.. ينبغي أن أدخل إلى بيتي، ولكن.. أين هو بيتي؟ (يطل على عريس في حفرته) أنا لا أرى بيوتاً في هذا المكان .. يا صاحب الحفرة العميقة جداً، قل لهم أن يعطوني بيتي.. (يدخل أحد العمال وهو يدفع باباً متحركاً) آه .. أخيراً أرى شيئاً يأتي إلي.. وحق الله، إنه شيء في صورة باب.. أهلاً وسهلاً وشرفت..(لمن في الحفرة) لا .. ليس لك أقول أهلاً وسهلاً.. أقولها لبابي الذي جاء من غير بيتي.. يا سبحان الله.. جاء وحده.. قديماً لم تكن البيوت تمشي وتجري.. حقا لقد تغيرت الدنيا، وما هكذا تركت البلاد عندما رحلت عنها.. (يتأمل الباب) هذا باب غريب.. إنه مركب في الفراغ.. أقسم بأنني لم أرَ بابا مثله من قبل..

عريـــــــس : (يطل من الحفرة) هو باب بيتك يا خيبان..

سيف الرحمن : أبداً.. باب بيتي أشرف من هذا الباب وأنبل من كل الأبواب.. يا صاحب الحفرة.. لآخر مرة أقول لك.. اعطني بيتي الحقيقي.. بيتي الذي سكنته زمناً طويلاً، وسكن هو روحي إلى الأبد..

(يدفع العامل الباب المتحرك و يخرج.. يدخل عامل آخر وهو يدفع باباً آخر)

عريـــــــــس : (من حفرته) ادخل يا خيبان.. فهذا هو بيتك الحقيقي..

سيف الرحمـن : هذا بيتي؟ ها ها.. وكيف عرفته وأنت مدفون في هذا القبر؟ ها ..ها..

عريـــــــــس : كيف عرفت؟ كل شيء في النص.. وهو مكتوب لدي بأنه بيتك.. ادخله يا خيبان.. ادخل قبل أن تدمر هذه المسرحية..

سيف الرحمـن : نعم..سأتوكل على الله وأدخل.. إن المرحومة أمي.. أمي التي قتلها المؤلف.. كانت تقول لي دائماً.. يا سيف الرحمن.. (لمن في الحفرة) عفواً.. نسيت.. يا خيبان.. هذا هو اسمي في هذه المسرحية الملعونة.. كانت تقول،الأسبقية دائماً لليد اليمنى وللقدم اليمنى.. باسم الله.. يدخل.. ثم يتمدد بفرح على أرضية المسرح.. موسيقا حزينة) يا ويل أمي.. ليس في هذا البيت شيء.. نعم لا شيء.. وحتى البيت لا وجود له.. لقد دخلت فضاء فارغاً ومرعباً ولم أجدني فيه..

عريـــــــــس : (يخرج رأسه من الحفرة) هو بيتك يا خيبان، فادخله من جديد.. ادخل..

سيف الرحمـن : هو بيتي؟ وكيف؟ كيف يكون بيتي يا سفيه وأنا لست فيه؟ كيف؟

عريـــــــــس : يا ملائكة الرحمن.. لقد بدأ الممثل يمثل في المثيل، وتلك هي الطامة الكبرى..

سيف الرحمـن : واحر قلباه من زي المزيفين ومن خداع المؤلفين والمخرجين.. لقد قالوا لي ارحل بعيداً بعيداً ثم عد إلى بيتك وأهلك.. لقد أرجعوني من الغربة التي هناك إلى الغربة التي هنا، فما الفرق بين غربة وغربة، وبين منفى ومنفى؟ لقد طلبوا مني هناك.. في الكواليس أن أعود، فقلت أهلاً وسهلاً.. حرضوني على الشوق والحنين، فامتلأت شوقاً وحنيناً وعدت.. عدت إلى الوطن، وما وجدت الوطن، وعدت إلى البيت وما وجدت البيت، وعدت إلى الأهل وما وجدت الأهل، فلماذا إذن عدت؟ لماذا؟ تكلم يا صاحب الحفرة.. قل شيئاً.. أجبني.. كل هذا الشوق، وكل هذا الحب لمن؟ لمن؟

عريـــــــــس : ماذا يقول هذا المجنون الحشاش؟ إنه يمثل مسرحية أخرى..

سيف الرحمن : وقالوا لي في الكواليس دائماً خذ هذه الصرة، وخبئ بها ،بداخلها الهدايا.. وفعلت.. (يفتح الصرة، ويخرج ما بداخلها، ويلقي به في السماء) وكل هذه الهدايا يا صاحب الحفرة لمن؟ لمن؟ يا أيها المؤلف.. المؤلف الذي في الأرض وليس في السماء.. ما الحكمة في عودة ليس لها معنى؟ لقد حرمتني الزوجة والبيت والأولاد، فلمن أعود؟ لمن؟ ما أنا إلا حبة رمل ضائعة بين الرمال.. لم يبق لي سوى أن أضع هذه الصرة تحت رأسي وأن أستسلم لنومة عميقة وطويلة جداً.. من حق هذا المحارب القديم أن يستريح .. يستريح قليلاً أو كثيراً.. أريد الظلام .. شيئاً من الظلام .. يا صاحب الحفرة.. قل لهم أن يعطوني حقي من الظلام.. الظلام.. الظلام..

(تظلم الخشبة كلياً)

8 - الخروج الآخر في المكان الآخر..

(ضوء المكان.. وحدها، وهي تتأمل رد فعل الجمهور الوهمي.. صياح وصراخ وصفير وأشياء تلقى على المسرح من الكواليس)

ضوء المكـــان : يا إلهي.. ما أجمل هذه التحية.. (وهي تلتقط الورود من هنا ومن هناك) إنه لا شيء أبلغ من تحية الورود.. آه.. وهذه تحية أخرى.. (تسقط أحذية بالية) تحية الأحذية هذه المرة..إنني أظن نعم قلت أظن بأنه ليس هناك أقسى ولا أفظع ولا أبشع من التحية بالأحذية، خصوصاً إذا كانت هذه الأحذية أحذية عسكرية ثقيلة.. (تسقط على المسرح أشياء مختلفة.. بعد لحظات يهدأ كل شيء)هذا جزاء الظالمين الذين يخرجون عن النص، ولا يحترمون حدود النص.. المكتوب، المكتوب.. ومن لا يؤمن بالمكتوب بأنه لا يمكن أن يجني إلا المعاصي والذنوب .. تلك هي اللعبة، وتلك حدودها، ومن يتعداها فقد ظلم نفسه..(تدخل وسط المسرح ترافقها هالة ضوء متحركة.. يستقبلها الجمهور الوهمي بالهتاف والتصفيق) ما هذا؟ لأول مرة أرى من يصفق لي.. يظهر أنهم لا يعرفون من أكون.. ولو أنهم عرفوا ما صفقوا ولا هللوا.. (منتبهة للضوء الذي يتبعها) إيه.. ما هذا الوسخ اللامع؟ أيكون هو ذلك الشيء الذي يسمونه الضوء؟ نعم.. هو الضوء.. إنه يلاحقني.. (تضربه بقدميها) إليك عني .. ابتعد عني.. ابتعد قلت لك.. خذوا عني هذا الضوء الملعون.. خذوه وانصرفوا، فلست في حاجة إليه.. تكفيني ظلمتي الجحيمية وأضوائي السوداء.. خذوه.. ألا تسمعون؟ قد يكون الضوء محبوباً لديكم، أو لديهم، أما بالنسبة لي، فإن الأمر يختلف.. إنه لا شيء أبهى ولا شيء أحلى من العتمة، ورغم أن أسمي ضوء المكان، فإنني لا أعشق إلا الظلمة..إياكم أن يخدعكم هذا الضوء، فأنا لست مغنية ولا ممثلة ولا ساحرة ولا مقدمة سهرات.. نعم؟

مرة أخرى تسألون من أكون؟ فيما بعد.. قلت فيما بعد.. ألا تسمعون؟كل شيء بأوان.. نعم بأوان، وهذا أوان الخروج .. الخروج الثاني هذه المرة.. خروج سيف الرحمن ..

(تخرج ضوء المكان بعد أن تسمع صوت شخص قادم من الكواليس)

سيف الرحمن : لا تدفعوني.. إنني أقدر أن أمشي وحدي.. (لموهوب الذي ظهر في جلد شخصية أخرى جديدة)

موهـــــــوب : تقدر؟ إذاً امش.. تحرك.. إن الباب من هناك . هل رأيته؟

سيف الرحمن : يمكنك أن تقول، إنني تقريباً رأيته.. (يتجه نحو جهة من الجهات)

موهـــــــوب : لا .. انتظر.. الباب من هنا أيها النمس..

سيف الرحمن : يا سيدي.. سيدي الذي أنت كل الناس، وكل الناس أنت.. من هنا أو من هناك .. ماذا يميز هذا عن ذاك؟ هذه البناية كلها أبواب .. باب خلف باب خلف باب خلف باب.. يا إلهي.. إنني لا أرى أي فرق بين هذه الأبواب..

موهـــــــوب : ألا تريد أن تفعل معروفاً، وأن تتركني لحالي؟

سيف الرحمن : إنني وحق الله أريد أن أتركك.. ولكنني أخاف عليك، وأخاف على هذا المكان أيضاً.. غداً.. إذا اعتدى عليك المعتدون يا صاحبي، فسوف تعرف قيمتي.. قيمة سيف الرحمن، ضامن النصر المبين على الفاسدين والظالمين..

موهـــــــوب : يا سيف الرحمن.. ما كان بيننا انتهى .. انتهى تماماً، وإلى الأبد، فماذا تنتظر لترحل؟

سيف الرحمن : ماذا أنتظر؟ أنتظر أن أقول لك وداعاً.. وداعاً يا ابن أمي وأبي .. إنني راحل عنك، وسوف تبقى وحدك.. أعرف أنك ستشقى في غيابي، وأعرف أن الشوق ابن كلب، وأنه لا يرحم أحداً..

موهـــــــوب : أنا أشتاق إليك؟ ها ها.. هذا شيء لن يحدث أبداً..

سيف الرحمن : مادام الأمر هكذا، فإنني أضغط على قلبي وأقولها.. وداعاً يا صاحبي.. وداعاً أيها الخاسر الأكبر..

موهـــــــوب : الحمد لله.. أخيراً قلت وداعاً.. قلتها أنت وسمعتها أنا، ولم يبق سوى أن تنصرف..

سيف الرحمن : سمعتها كلاماً فقط.. كلاماً عارياً ويابساً وجافاً.. والمفروض يا صاحبي أن تسمعها غناء وشدواً.. اعطني لحظة أخرى، وسأغني لك موال الفراق والهجران.. (يغني) يا ليلي .. يا عيني..

موهـــــــوب : يا .. ربي.. ألا تفهم يا هذا بأن التمثيل انتهى؟ قلنا انتهى..

سيف الرحمن : هذا ليس تمثيلاً.. قسماً بشرفي، ليس تمثيلاً..

موهـــــــوب : قسماً بشرفك؟ اقسم بشي آخر أصدقك..

سيف الرحمن : ليس لي غير شرفي.. من أجله أحيا، ومن أجله أموت.. ودفاعاً عنه أحمل سيفي ورمحي وأحارب.. (يلوح بسيف وهمي) ألا تعرف من أكون؟ أنا صعصعة بن أبي شيبان.. أنا فارس بني غضبان.. أنا العاصفة والإعصار.. أنا حامي الحمى وحامي الشوارع والديار..

موهـــــــوب : يا سيف الرحمن..أنت لم تعد ممثلاً، هل فهمت؟ إدارة المسرح استغنت عن خدماتك، وبعبارة أخرى، أنت مطرود .. مطرود..

سيف الرحمن : هذا خطأ.. خطأ لا يغفر.. أنا يا سيدي يمكن أن أستقيل، لأن هذا من حقي، ولكنه أبداً لا يمكن أن أطرد.. وإنني الآن، وأمام كل الدنيا، أقدم استقالتي العظيمة.. أقدمها بصفة رسمية وعلنية.. إنني أنفصل عنك بإرادتي أنا.. لأن إرادتي فوق، فوق كل شيء.. لقد قررت أنا الموقع أعلاه أن أهجر هذا المخلوق، وأنا في كامل وعيي..

موهـــــــوب : ها ها.. في كامل وعيه؟ أنت متى كنت في كامل وعيك أيها الحشاش؟

سيف الرحمن : آه.. إنه يسأل متى؟ وهذا من حقه.. متى؟ الآن .. الآن يا ابن أمي وأبي .. وقد اتخذت هذا القرار الصائب والصحيح (يضحك) أنا دائماً مصيب، وآرائي دائماً مصيبة..

موهـــــــوب : اسمع يا سيف الرحمن.. هذه الخطبة العصماء يمكن أن تكملها في بيتك..

سيف الرحمن : آه ثم آه.. ماذا أقول لكم يا أحبتي؟ ماذا أقول سوى أنكم جهلة.. وأميون.. ومتخلفون.. أنتم لا تعرفون شيئاً، ولا تقدرون الأشياء حق قدرها.. واحر قلباه.. لقد انقلبت الدنيا، وأصبحت الكلمة العليا للسفلة ولأصحاب الحضيض..

موهـــــوب : ماذا يقول هذا الحشاش؟ أظن أنه يشتمنا..

سيف الرحمن : إنكم تقتلون الجياد أيها القتلة..

موهـــــوب : نقتل الجياد؟

سيف الرحمن : نعم، تقتلونها، من أجل أن تحيا الحمير والبغال والخنازير البرية.. أنتم لا تقدرون المواهب الخطيرة..

موهـــــوب : ها ها.. يظن نفسه فناناً كبيراً، مع أنه لا يحفظ دوره..

سيف الرحمن : ولماذا أحفظ دوري وحواري؟ لماذا؟ خصوصاً إذا كنت موهوباً وقادراً على الخلق والابتكار.. إنني أجتهد.. نعم أجتهد.. ألا هذا يا أيها المخلوق السطحي.. وقديماً قال الفقهاء.. قالوا.. قالوا .. لم أعد أذكر..قبح الله الذاكرة..

موهـــــوب : بل قل، قبح الله الحشيش.. أنت لم تعد تعرف ماذا تقول ولا ماذا تفعل.. أنت دائماً وأبداً خارج النص..

سيف الرحمن : النص سجن.. ومن يحب السجن؟ من؟

موهـــــوب : أنت دائماً خارج النص، وخارج السياق، وخارج ذاتك ونفسك، وخارج الناس .. كل الناس، وخارج المكان والزمان، وخارج التاريخ، وخارج كل الدنيا.. أنت أغرب ممثل عرفته البشرية..

سيف الرحمن : (في تواضع مفتعل) أخجلت تواضعي يا سيدي المحترم..

موهـــــوب : إنني أقول لك ادخل من هنا، لتخرج أنت من هناك..

سيف الرحمن : إنه الاجتهاد .. الاجتهاد يا ابن أمي وأبي..

موهـــــوب : أقول لك اصعد إلى فوق، فتنزل أنت إلى الأسفل ..

سيف الرحمن : أنا ممثل يفكر.. لا تنس هذا عافاك الله

موهـــــوب : نمثل نحن مسرحية، وتمثل أنت مسرحية أخرى.. نتحدث نحن عن الزبرجد، وتتغزل أنت في السفرجل..

سيف الرحمن : السفرجل؟ وماذا به السفرجل؟ أليس حلواً ولذيذاً؟ ثم إنه مفيد جداً، خصوصاً لمعالجة البواسير المريضة .. ها ها..

موهـــــــوب : يا سيف الرحمن.. افهمني جيداً.. أنا ما يهمني هو الانضباط التام..

سيف الرحمن : يا ابن أمي وأبي، لا تؤاخذني على حماقاتي الجميلة والبريئة، فهي في كل الأحوال حماقات صبيانية وغير مؤذية..

موهـــــــوب : غير مؤذية؟ أنت كل ما فيك يؤذي..

سيف الرحمن : أنا يا سيدي مازلت أحمل براءة الأطفال.. هل تعرف لماذا؟ لأنني بعون الله مازلت طفلاً..

موهـــــــوب : مازلت طفلاً ؟ أنت ؟

سيف الرحمن : نعم.. في عين السيدة أمي يا ابن أمي..

موهـــــــوب : آه.. هكذا إذاً؟ لم أكن أعرف هذا..

سيف الرحمن : أنا أصغر أخوتي يا سيدي.. آخر العنقود كما يقولون .. العنقود البشري طبعاً، وليس عنقود العنب.. أنا في البيت ولد مدلل .. أفعل ما يحلو لي، وأقول ما أشاء.. أنا ما سمعت أحداً ينهرني كما تنهرني أنت أيها الظالم..

موهـــــــوب : مادام الأمر هكذا، فيمكنك أن تعود إلى بيتك.. عد إليه، ومثل فيه كما تشاء.. وداعاً يا صاحبي.. رافقتك السلامة..
(يخرج)

سيف الرحمن : (وحده) مصيبتي الكبرى، في هذه الدنيا الصغرى، أنني إنسان طيب وابن حلال .. إنني لا أفعل إلا الأشياء الحسنة، ولكنني لسوء حظي أفعلها بشكل سيئ، وليس هذا بيدي، ولا من اختياري.. فماذا أفعل يا ربي؟ ماذا أفعل؟ لقد أردت أن أكون ملاكاً، فأصبحت دابة.. الآن .. إلى أين أذهب؟ وإلى أين أسير؟

(يخرج وهو حزين)

9 - أستقيل من التمثيل ..

(يدخل موهوب وهو يلاحق ببصره خروج سيف الرحمن .. هو الآن في زي موهوب المدير)

موهـــــــوب : سأبقى وراءه لأعرف كل شيء.. أعرف إلى تنتهي الليلة .. ليس هذا بدافع الفضول.. لا .. لأنني ، رغم كل شيء، أحب هذا الرجل، وأشفق عليه.. لقد أوصتني السيدة أمه به خيراً.. إنه عائد .. وينبغي أن أختبئ .. (ينزل موهوب إلى الجمهور ليجلس بين الناس، ويتابع بقية المسرحية)

سيف الرحمن : أنا أطرد؟ سيف الرحمن يطرد؟ ألا ما أغبى هؤلاء المخرجين الملاعين.. إنهم لا يعرفون شيئاً، ولا يفهمون شيئاً، ومع ذلك، فهم دائماً منتفخون كالطواويس الملونة.. إنه لا شيء داخلهم إلا الهواء .. الهواء الفاسد والرديء .. قبحهم الله أجمعين.. آمين يا رب العالمين.. إنني في هذا اليوم ويعلم الله أي يوم هو هذا اليوم وفي هذه اللحظة التاريخية بالذات، ومن هذا المكان العمومي، أعلن للناس كافة. الأموات والأحياء، وحتى أنصاف الأحياء اعتزالي فن التمثيل اللعين.. هذا هو قراري التاريخي ولن أتراجع عنه أبداً.. من الآن لن أمثل.. نعم.. لن أمثل، وسأنسحب من هذا المسرح، ومن كل مسرح، لأترك الفرصة لهم.. تسألون من أقصد؟ أقصد التافهين طبعاً، وأنصاف الموهوبين والحمقى والمجانين والمهرجين والبهلوانيين.. آه وآه .. ما أتعس حظك يا سيف الرحمن، احترقت أنت وأضأت هذا الزمان.. كنت الآخرين.. كل الآخرين، وضيعت نفسك.. ضيعتها وبقيت بلا وجه ولا ذات.. هل تدري يا أنا، أنك والهباء سواء.. أنت لا شيء.. نعم. لا شيء .. يا إلهي.. ما هذا الكلام الذي أقول؟ يظهر أنني مازلت أمثل.. هذا الكلام ليس كلامي، ومن يقوله ليس أنا.. هذا حوار في مسرحية.. حوار شخصية وهمية.. يا الله.. كيف أتحرر من وجوه ليس فيها وجهي؟ كيف أهرب

من كلام ليس كلامي؟ كيف أسترد ذاتي الحقيقية؟ لم يبق لي الآن إلا أن أقول، هذا الكلام ليس كلامي.. إنه حوار آخر.. حوار في مسرحية أخرى.. آه ما أشد غباء الممثلين.. لقد دخلت الوهم يوماً.. لم أعد أذكر متى.. دخلته وأنا في كامل وعيي.. كنت واحداً من الناس مثل كل الناس ولكنني الآن .. أصبحت أنا ومعي غيري في ذاتي.. أصبحت كل الناس.. يا الله.. من يحررني؟ من؟ هذا الكلام كلامي.. اطمئنوا.. من يخرج مني هذه الأصوات التي تسكنني؟ من؟ من؟ اللعنة على المؤلفين.. كل المؤلفين..إنهم يدسون كلامهم في لساني، ويهربون أفكارهم داخل جلدي.. آه ما أشقاني.. لقد سكنوا لحمي وعظمي، وعششوا هنا (مشيراً إلى رأسه) اخرجوا مني.. اخرجوا قلت لكم.. (ينطح عموداً كهربائياً عمومياً) اخرجوا .. اللعنة عليكم.. دعوني أكون أنا.. أكون نفسي فقط ولا أحد غيري.. لا أريد أن أكون أميراً ولا قائداً ولا ملاكاً ولا شيطاناً.. فقط أريد أن أكون أنا.. نعم. أكون أنا.. اخرجوا مني .. ألا تسمعون؟ اخرجوا أيها المعمرون الغزاة.. من الآن .. سأخوض حرباً مقدسة.. سأقاتل كل المؤلفين.. إنهم مهربون وقطاع طرق.. لقد سرقوا وجهي وتفكيري .. سرقوا إحساسي وخيالي.. سرقوا كل شيء جميل بداخلي.. (يدخل بديع الزمان وهو يحبو على يديه وركبتيه.. يظهر أنه يبحث عن شيء ضاع منه.. يمسك بساق سيف الرحمن)

سيف الرحمن : (دون أن ينتبه لمن يمسك به) ما هذا؟

بديع الزمـــان : هذا أنا، فلا تخف يا سيد..

سيف الرحمن : يا ربي.. هذا الشيء الغريب يمشي على الأرض.. وينطق أيضاً..

بديع الزمـــان : أنا لست شيئاً.. ولست غريباً يا ابن الكلب..

سيف الرحمن : سبحان الله.. الشيء الغريب يمشي، وينطق، ويشتم أيضاً، ومن يدري، فقد يضرب أيضاً..

بديع الزمـــان : لن أضربك فقط، بل سأقتلك أيضاً أيها الأحمق..

سيف الرحمن : يا ويلي.. الشيء الغريب يمشي، وينطق، ويشتم، ويضرب، ويقتل أيضاً.. الرحمة.. الرحمة يا رحمان يا رحيم.. إن هذا الشيء يقتل الأبرياء والشرفاء.. يا أمي.. أين أنت؟ احمني من هذا الشيء العجيب..

بديع الزمـــان : ماذا تقول أيها الأحمق؟ (يقف على قدميه) هذا أنا.. نعم أنا.. انظر إلي جيداً..

سيف الرحمن : آه. هذا أنت.. أنت من؟

بديع الزمـــان : بديع الزمان.. ألا تعرفني؟

سيف الرحمن : كيف لا أعرفك؟ أنت بديع الزمان.. بديع الزمان من؟

بديع الزمـــان : بديع الزمان المخرج.. أنا معروف ومشهور.. وينبغي أن تعرفني..

سيف الرحمن : يا ويلي.. أنت مخرج مثلهم..

بديع الزمـــان : نعم.. أنا مخرج.. هل لديك مانع؟

سيف الرحمن : ابتعد عني.. (في غضب) ابتعد قلت لك.. أنا لم يعد يربطني بكم أي شيء.. لقد قدمت استقالتي، وأصبحت ملك نفسي.. قدمت استقالتي بنفسي، ولم يطردني أحد.. وإن أخبروك بغير هذا عن سيف الرحمن فلا تصدقهم.. وسيف الرحمن هو أنا..

بديع الزمـــان : أما أنا فقد طردوني..

سيف الرحمن : طردوك؟

بديع الزمـــان : طردني موهوب المدير..

سيف الرحمن : و.. حتى أنا طردت.. طردني موهوب آخر في مسرح آخر .. طردني موهوب المخرج..

بديع الزمـــان : أنا الآن يا.. سيف الرحمن مخرج عاطل.. مخرج يحيا خارج عالمه ودنياه..

سيف الرحمن : أما أنا فلا يمكن أن أعود إلى التمثيل.. لقد طلقته بالثلاث.. نعم طلقته.. وإنني أبحث عن شغل جديد وعن مهنة أخرى.. لابد أن أفعل شيئاً آخر.. أفعل أي شيء.. إلا أن يكون تمثيلاً.. قبح الله التمثيل..

بديع الزمـــان : أنا أقول لك ماذا تشتغل..

سيف الرحمن : ها.. ولماذا أنت الذي تقول.. لماذا؟ هل لأنك السيد المخرج؟ أنت المخرج وأنا الممثل.. تقول أنت وأسمع أنا.. لا .. كان هذا قديماً يا صاحبي.. في الجاهلية الجهلاء، أما الآن فلا وألف لا وكلا .. هل تسمع؟

بديع الزمـــان : لقد فهمتني خطأ يا سيف الرحمن.. أنا لم يكن قصدي..

سيف الرحمن : هذا ما تقولونه دائماً.. (يقلده) فهمتني خطأ يا سيف الرحمن..

بديع الزمـــان : اسمك مسرحي بامتياز.. سيف الرحمن..

سيف الرحمن : ..وحتى إذا فهمت، فإن فهمك خاطئ دائماً، ومغلوط وأحول وأعرج.. فهمك دائماً معوق.. هكذا تقولون دائماً عني..

بديع الزمـــان : لا .. لا .. أنا لست مثل المخرجين الآخرين.. ولو كنت مثلهم يا سيف الرحمن لما طردوني .. أنا مخرج منور ومتفهم، وغير مستبد..

سيف الرحمن : حقا ؟

بديع الزمـــان : نعم.. أنا لا أعطي تعليمات ولكنني أقترح أفكاراً.. أقترح فقط..

سيف الرحمن : آه.. هكذا إذاً؟ وماذا تقترح علي الآن أن افعل؟

بديع الزمـــان : أقترح عليك أن تشتغل متسولاً محترفاً..

سيف الرحمن : ماذا؟ أنا متسول؟ ها .. ها.. ليت أمي تسمعك يا ..

بديع الزمـــان : بديع الزمان .. هذا هو اسمي..

سيف الرحمن : آه أنت هو بديع الزمان.. لقد سمعت عنك كثيراً..

بديع الزمـــان : تأكد يا صاحبي أن مهنة التسول مربحة، وهي من أهم المهن المدرة للدخل السهل والسريع..

سيف الرحمن : لا .. اربح وحدك..

بديع الزمـــان : ثم إنها مهنة عريقة وغير متعبة، هذا بالإضافة إلى أنه لا ضرائب عليها، وذلك هو الأهم يا سيف الرحمن..

سيف الرحمن : لا .. لا .. ماذا تقول يا بديع الزمان؟ ألا تعرف أن المتسولين هم أخطر الممثلين؟ إنهم يمثلون أيضاً، وأنا لا أريد تمثيلاً..

بديع الزمـــان : المتسلون ممثلون؟ هذا شيء لم أسمع به من قبل..

سيف الرحمن : نعم.. وهم يمثلون في الشارع العام، على مسرح المدينة

المفتوح ليلاً ونهاراً.. وهذا هو المسرح البلدي الحقيقي في هذه البلاد، والممثلون فيه لهم ملابس مسرحية.. وملحقات مسرحية ويرتجلون حوارات مسرحية، ويعيشون مواقف مسرحية . إنني أعرف أنهم أحسن مني وضعاً، وأكثر ربحاً، ولكنني لا أختار مهنتهم.. نعم.. لا أختارها..

بديع الزمـــان : آه.. وجدتها.. وما رأيك لو تشتغل سمساراً ؟

سيف الرحمن : حتى السمسار يمثل يا بديع الزمان..

بديع الزمـــان : آه.. وحق الله صدقت.. وماذا تقول في مهنة المشعوذين المحترفين؟

سيف الرحمن : والمشعوذون ممثلون كذلك..

بديع الزمـــان : لم يبق سوى أن تشتغل سياسياً محترفاً.. هذه مهنة ليس فيها تمثيل..

سيف الرحمن : نعم.. ليس فيها للناس، ولكن.. فيها تمثيل عليهم.. فيها زيف وشعوذة وتدجيل.. ألا تعرف يا بديع الزمان.. أن هذه المهنة هي أسوأ مهنة أوجدها الإنسان؟

بديع الزمـــان : والله أتعبتني يا سيف الرحمن.. أتعبتني وقتلتني.. أنت لا تعرف خطورتك أيها الممثل.. ألم تسمع كما سمعت أنا بأن ممثلاً فاشلاً، في بلد من البلدان، قد أصبح رئيس جمهورية؟

سيف الرحمن : لا.. هذه إشاعة.. إشاعة فقط.. ولن أصدقها.. (يضحك)

بديع الزمـــان : لدي اقتراح آخر.. وهو الأخير.. هل سمعت؟ بعده لن أقول شيئاً.. لن أضيف كلمة واحدة..

سيف الرحمن : نعم.. وماذا تقترح؟

بديع الزمـــان : أقترح أن تشتغل شاهداً محترفاً..

سيف الرحمن : الله أكبر .. الله أكبر.. فتح ونصر..

بديع الزمـــان : شاهد زور في المحاكم العليا المحترمة.. شاهد يحكي عن أشياء لم يرها ولم يسمعها، وبهذا تقول ما تشاء، كما تشاء، وتكون بهذا مؤلف مسرحيتك، وصاحب كلامك..

سيف الرحمن : أنا.. أنا لست مؤلفاً.. ثم إنني أكره المؤلفين.. أكرههم كلهم..

بديع الزمـــان : وما دخلنا نحن بالمؤلفين؟ أنا اقترحت عليك أن تشتغل شاهد زور..

سيف الرحمـن : وحتى هذا الشاهد الملعون يشتغل بالتأليف.. تماماً كما يشتغل بالتمثيل.. وتمثيله يا بديع الزمان هو أسوأ كل تمثيل وأحقره.. إنه تمثيل لا نبل فيه ولا شرف فيه.. ألا قبح الله كل الممثلين المقنعين.. نحن على الأقل .. يا صاحبي.. نمارس التمثيل جهراً وعلانية، ونقول للناس.. انظروا.. نحن فقط نمثل، وإياكم أن تنخدعوا.. نحن أكثر صدقاً من كل الممثلين الآخرين يا بديع الزمان..

بديع الزمـــان : إذن.. لم يبق سوى أن نفترق..

سيف الرحمـن : نفترق؟

بديع الزمـــان : نعم.. تأخذ أنت طريقاً.. وأسلك أنا طريقاً آخر.. نفترق الآن، وليكن لكل واحد منا ما يشاء.. أو ما يقدر عليه..لست أدري..

سيف الرحمـن : يا إلهي.. وماذا يمكن أن أكون أنا؟

بديع الزمـــان : كن ما تريد يا سيف الرحمن، ثم من بعد نلتقي أو لا نلتقي.. من يدري.. فقد نلتقي غداً أو بعد غد.. نلتقي بغير سابق موعد، لتعرف أنت وأعرف أنا، أين وصلت أنت وأين وصلت أنا.. إيه .. ما رأيك يا سيف الرحمن؟

سيف الرحمـن : رأيي أن نفترق.. لقد ذهبت يا بديع الزمان من هذا الطريق، فادع لي..

بديع الزمـــان : رافقتك السلامـــة يا ســـيف الرحمـــن.. (يخرج سيف الرحمن)

10 - ضوء المكان ترفع الحجاب..

(يبقى بديع الزمان وحده.. يتأمل المكان حوله في اندهاش واستغراب)

بديع الزمـــان : قبل أن أسير إلى أي مكان، لابد أن أعرف أين أنا.. يهمني أن أعرف اسم هذا المكان.. يا إلهي.. أين أنا؟ أأكون في عين المكان وأنا لا أدري؟ أخيراً عرفت.. نعم.. أنا في عين المكان.. ها ها.. وقريباً إن شاء الله، سأصل إلى حاجبيه وأذنيه.. (فجأة يلف المكان ضباب كثيف.. تظهر ضوء المكان وهي تمسك بيدها الكتاب نفسه)يا الله.. من أين أتى كل هذا الضباب؟

ضوء المكـــان : أتى من النص.. من هذا النص الذي ترى بين يدي..

بديع الزمـــان : وأنت.. من أنت؟ ومن أين خرجت لي؟ وهل أنت وهم أم حقيقة؟ إنسية أم جنية؟

ضوء المكـــان : من أنا؟ أنا التي رأيت كل شيء في هذه الدنيا..

بديع الزمـــان : أنت؟ أنت رأيت كل شيء؟

ضوء المكـــان : نعم.. رأيت وسمعت كل شيء.. وقرأت أيضاً.. قرأت ألواح الغيب وحدي..

بديع الزمـــان : (ينادي بأعلى صوته) سيف الرحمن.. أين أنت؟ لا تتركني وحدي في ظلمة هذا الليل..

ضوء المكـــان : رأيت كيف تنمو الأزهار، وكيف تخرج من بين التربة والأحجار، وكيف تنطفئ الأعمار.. (تقترب منه)

بديع الزمـــان : ابتعدي عني.. (ينادي وهو خائف) سيف الرحمن .. تعال يا سيف الرحمن إنني مازلت هنا في عين المكان..

ضوء المكـــان : أنا التي رأيت كيف تتشكل الأشكال، وكيف تتحجر الأحجار، وكيف تولد الرياح وكيف يتفجر الإعصار.. (تقترب منه أكثر) أنا العمياء المبصرة.. (تضع نظارات سوداء على عينيها) انظر إلي جيداً.. إنني أراك.. نعم أراك ولا أراك..

بديع الزمـــان : (لنفسه) ماذا تقول هذه الحمقاء؟

ضوء المكـــان : صدقني، إنني أنا العمياء المبصرة، وأنا المقعدة التي تمشي وتجري، وتسابق الريح والروح، والتي يمكنها أن تطير وأن تحلق عالياً في السماء .. أنا التي بعيوني المغمضة رأيت..

بديع الزمـــان : آه.. رأيت.. وماذا رأيت يا سيدتي؟

ضوء المكـــان : رأيت كيف يموت النهار في واضحة النهار، وكيف يخرج الضوء من رحم الظلام..

بديع الزمـــان : (لنفسه) أظن المرأة ممثلة.. نعم.. هي ممثلة بلا شك، وهذا الذي تقول ما هو إلا حوار مسرحي غريب.. حوار كتبه مؤلف أحمق.. يا ويل أمي.. هل كتب علي أن أخرج من المسرح إلى المسرح، وأن أغادر الحوار إلى الحوار، وأن أنتقل من الجنون إلى الجنون، ومن الهذيان إلى الهذيان؟

ضوء المكـــان : ماذا تقول أيها الكائن المحدود؟ أنت الآن أمام شخصية غريبة وعجيبة..

بديع الزمـــان : آه.. هذه عرفتها..

ضوء المكـــان : شخصية أنا غير بشرية وغير طبيعية وغير عادية..

بديع الزمـــان : يا أيتها المرأة ابتعدي عني..

ضوء المكـــان : ما هذا الغلط يا ابن آدم؟ أنا لا يقال لي أيتها المرأة.. هل تعرف لماذا؟ لأنني شخصية فوق طبيعية.. إنني أعرف ما لا تعرف أيها الكائن المعتوه..

بديع الزمـــان : كل هذا الكلام لا يعنيني.. أنا فقط، أريد أن أعرف من أنت..

ضوء المكـــان : من أنا؟ أنا المؤلفة..

بديع الزمـــان : يا إلهي.. كيف لم أنتبه لهذا؟

ضوء المكـــان : أنا وحدي المؤلفة والآخرون كذابون ومزيفون ومدعون ومنتحلون..

بديع الزمـــان : أنت مؤلفة.. إذن ابتعدي.. سيقتلك سيف الرحمن إذا رآك، لأنه يكره المؤلفين..

ضوء المكـــان : يقتلني؟ (تضحك) أنا غير قابلة للقتل أيها الكائن المحدود.. أنا المؤلفة التي لا تراها العيون..

بديع الزمـــان : في هذه صدقت يا امرأة.. ومن يمكن أن يرى السادة

المؤلفين؟ إنهم أشباح وأساطير وخرافات وهمية..

ضوء المكـــان : يا سيدي.. ألا تسمع؟ قلت لك لا وجود إلا لمؤلفة واحدة، هل فهمت؟ واحدة فقط، وهي أنا.. نعم أنا..

بديع الزمـــان : أنت المِؤلفة.. وماذا تؤلفين يا سيدتي؟

ضوء المكـــان : أؤلف قصصاً وحكايات غريبة..

بديع الزمـــان : ها.. عرفتك..أنت مؤلفة خيالية..

ضوء المكـــان : أبداً، بل أنا مؤلفة واقعية.. المؤلفة الواقعية في كل هذا الكون.. يا بديع الزمان.

بديع الزمـــان : يا ويلي.. إنها تعرف اسمي..

ضوء المكـــان : هل تعرف أن الوراقين يعيدون نسخ ما أكتب، إنهم غشاشون ومزيفون يقتبسون مني كل شيء من غير أن يعيدوا إلي أي شيء..

بديع الزمـــان : عفواً سيدتي، أنا مازلت لم أفهم شيئاً..

ضوء المكـــان : أنا الكاتبة الأولى، قلت لك،ألا تفهم؟

بديع الزمـــان : يا ويل أمي، من تكون هذه المرأة الغامضة؟

ضوء المكـــان : أنا ؟ أنا الموت يا ولدي..

بديع الزمـــان : ماذا؟ لم أسمع جيداً يا سيدتي..

ضوء المكـــان : (بصوت مرتفع) أنا الموت، الموت يا بديع الزمان، أنا كاتبة المكتوب الذي ليس للناس منه هروب..

بديع الزمـــان : (ينظر حوله) ها ها.. أين أنا يا ربي؟ أين أنا؟ أظنني انتهيت من المسرح، ومن جنون المسرح، انتهيت منهما نهائياً.. هذا المكان.. أيكون اسمه المسرح؟ وأنت يا سيدتي.. ألست شخصية مسرحية؟ شخصية اسمها الموت؟

ضوء المكـــان : لا لا.. أنا المؤلفة التي تؤلف نهايات فيها سخرية وخيال.. أنا الموت الذي يمشي..

بديع الزمـــان : وأنا.. أنا بديع الزمان الذي يمشي أيضاً. يمشي ويهرب. وداعاً يا عمتي..(يخرج هارباً وضوء المكان تجري خلفه)

ضوء المكـــان : تعال يا بديع الزمان.. تعال. فلن يصيبك مني مكروه.. تعال.. لا تهرب مني..(تخرج من جهة ليدخل موهوب من الجهة الأخرى وهو يكاد يسقط من شدة الضحك).

موهـــــــــوب : إنه يجري وهي تجري خلفه.. يعلم اللّه كيف ستنتهي هذه الليلة العجيبة، ستكون ممتعة بلا شك، خصوصاً في النفس الثاني من هذا الاحتفال.. سألحق بهما، من غير أن يراني أي واحد منهما.. ينبغي أن أكون قريباً حتى أرى وأسمع كل شيء..(يخرج ويضحك).

النفس الثاني

11 - بنت اسمها بوعزة ..

(يدخل بديع الزمان وهو يهرول، تجري ضوء المكان خلفه)

بديع الزمـــان : لا لا .. لن أصدقك، ما أنت إلا ممثلة .. ممثلة بلاشك ..

ضوء المكـــان : أبدا يا بديع الزمان ..

بديع الزمـــان : أو أنك أكلت شيئاً، أو شربت شيئاً .. من يدري ؟

ضوء المكـــان : أنا لا آكل، ولكنني أشم، وهناك من الناس من يشمني.. يشم الموت على بعد مسافات كبيرة ..

بديع الزمـــان : آه لو قلت إنك ممثلة لصدقتك .. (يضحك) قالت هي الموت..

ضوء المكـــان : نعم أنا الموت.. انظر إلي جيداً يا بديع الزمان .. انظر ولا تخف، لأن ساعتك لم تحن بعد ..

بديع الزمـــان : ساعتي؟. ها ها .. أنا ليس لدي ساعة.. انظري وحق اللات والعزى ومولاي بوعزة . ليس لدي ساعة ولا نصف ساعة ولا حتى ربع ساعة، وما أنا إلا مخرج مسرحي فاشل .. فاشل بامتياز كبير..

ضوء المكـــان : هذه حقائق أعرفها . إنني أعرف عنك كل شيء .. كل المعلومات مبرمجة في الحاسوب .. لا تعجب، حتى الموت أصبح يشتغل بالحاسوب، إنه لا شيء أصبح سهلاً كما كان .. آه ، رحم الله أيام زمان يا بديع الزمان ..

بديع الزمـــان : يا سيدتي الفاضلة..

ضوء المكـــان : أنا لست سيدة أحد، ولست فاضلة، ولا أسمح لأي أحد أن يشتمني، وأن يقول عني فاضلة.. اسمي المؤقت هو ضوء المكان، هل سمعت؟

بديع الزمـــان : ضوء المكان؟ أنت؟ إن هذا الذي تقولين لا يمكن أن يصدقه عقل .. عفوا .. يمكن أن يصدقه عقل الحمقى وعقل المجانين والمغفلين ..

ضوء المكـــان : وعقل الحشاشين أيضاً، لا تنس هذا.. (تبتسم للفراغ

وكأنها رأت أشخاصاً وهميين) .. وعليكم السلام ورحمة الله تعالى وبركاته ..

بديع الزمـــان : من تكلم هذه المرأة ؟ أنا لم أقل لها السلام عليها ..

ضوء المكـــان : أنت لم تقل، ولكن هم .. هم قالوا .. إنهم مؤدبون جداً ..

بديع الزمـــان : هم؟ (ينظر حوله)

ضوء المكـــان : شيء طبيعي يا بديع الزمان أن أرد على التحية بأحسن منها ..

بديع الزمـــان : ولكنني .. يا ضوء المكان .. يا ربي.. ماذا أقول؟ أنا لا أرى أحداً هنا، فمن تكلمين ؟

ضوء المكـــان : أكلم هؤلاء السادة المحترمين ..

بديع الزمـــان : آه .. تقصدين الجمهور ؟

ضوء المكـــان : لا .. إنني أكلم الذين أراهم وحدي.. هذا الرجل الوقور هو الشيخ الزبير .. (مشيرة إلى الفراغ)

بديع الزمـــان : الشيخ الزبير .. الكاتب والشاعر؟

ضوء المكـــان : هو في الواقع ليس الشيخ الزبير، وإنما هو شبحه، لأن الشيخ الزبيرالذي تعرفه أنت، ويعرفه كل الناس، توفيته منذ أزمان يا بديع الزمان ..

بديع الزمـــان : يا ويلي .. القضية فيها الأشباح والأرواح ..

ضوء المكـــان : لا تخف.. قلت لك لا تخف . إن أشباحي لا تؤذي، ألا تسمع؟ انظر إلي جيداً يا بديع الزمان .. هؤلاء الناس هم الذين اقتبسوا مني كل شيء، واختلسوا مني كل شيء، وإن قالوا لك إنهم زملائي في مهنة التأليف فلا تصدقهم، لأن في عملي ليس لي مشارك، وليس لي زميل، وليس لي منافس .. هذه المهنة النبيلة هي مهنتي وحدي، ولا يمكن أن يقوم بها أحد غيري .. (وهي تنظر إلى الفراغ) وهذا الرجل اسمه بودلير.. وأما الآخر هو فلوبير.. أما ذلك الشخص الثالث، فهو المسيو فولتير .. آه .. أما ذلك العفريت الذي في الخلف فاسمه أوفقير، والأخطر في كل هؤلاء الكتاب يا بديع الزمان هو هذا الأخير.. إنه كاتب تراجيدي..

بديع الزمـــان : (يحيي هذه الشخصيات الوهمية بانحناءات متكررة)

تشرفنا يا محترمين .. دامت لكم الأفراح والمسرات، وعاشت لكم الكتابات والإبداعات..

ضوء المكـــان : هل تعرف يا بديع الزمان بأنني صاحبة نظرية مهمة في المسرح؟ نظرية تسمى المأتمية ..

بديع الزمـــان : أظنني سمعت عنها يا سيدتي ..

ضوء المكـــان : سمعت عنها ؟

بديع الزمـــان : ليس تماماً، لأنني في الحقيقة سمعت عن شيء آخر .. سمعت عن نظرية بشرية تسمى الاحتفالية ..

ضوء المكـــان : آهاه .. الاحتفالية تزوير وغش وكذب وبهتان .. إنها تشويه ومسخ للمأتمية، التي هي الأصل يا بديع الزمان .. الاحتفالية اعتداء سافر على عبقريتي .. الموت هي وحدها الكاتبة والمبدعة . إنها تكتب هزليات ضاحكة، ويخرج المخرجون مآسي باكية .. أنا لا أحد يفهمني في دنياكم يا بديع الزمان، ولا أحد يقدر موهبتي وعبقريتي .. ألا ما أتعسني من كاتبة شقية ..

بديع الزمـــان : اسمعي يا سيدتي .. إن كنت الموت حقاً، فيمكنني أن أقول لك ما يلي ..

ضوء المكـــان : قل يا بديع الزمان ما تشاء ..

بديع الزمـــان : إن النهايات التي تكتبين هي أسوأ ما تكتبين ..

ضوء المكـــان : لا ..أنت خاطئ ..

بديع الزمـــان : إنها نهايات سخيفة ومفتعلة وغير منطقية ..

ضوء المكـــان : خيبت ظني فيك يا بديع الزمان . ظننتك تحسن قراءة الإبداع، وتقدر المبدعين ولكنك أحمق بهلول، وجاهل جهلول.. جاهل وأمي، مثل السيدة أمي ..

بديع الزمـــان : عجباً .. ألديك أم يا ضوء المكان؟

ضوء المكـــان : نعم، لدي أم وزوج وبنت أيضاً .. بنت يا بديع الزمان أجمل وأبهى من بنات السلاطين في حكايات الأولين والآخرين، وهي تحبني قليلاً قليلاً، وتحب المال كثيراً كثيراً ، وفي ذلك شقائي وتعاستي وخيبتي ..

بديع الزمـــان : (لنفسه) هي الموت زوجة الموت و أم الموت ؟ هذا شيء لا

يعرفه أحد ..

ضوء المكـــان : نعم، وأنت أول واحد في التاريخ يعرفه .. يمكن أن تعتبر نفسك محظوظاً، هل تريد أن تعرف لماذا؟ لأنه لا أحد غيرك أنت، رأى ما رأيت أنت، أو سمع ما سمعت أنت، أو عرف ما عرفت أنت ..

بديع الزمـــان : يا إلهي .. من يصدق هذا؟ الموت أيضا لها ابنة جميلة؟

ضوء المكـــان : وهي من جنس نسائي غريب، فهي يا ولدي – أنثى، ولكنها ليست امرأة ..

بديع الزمـــان : ليست امرأة ؟

ضوء المكـــان : ابنتي أنا لها شخصية قوية، وهي ساحرة وجذابة، وبها مسحة جمال شيطاني مدمر ومخرب وقاتل، ولعل أغرب ما فيها هو اسمها.. بالنسبة إليكم طبعاً، وليس بالنسبة لنا ..

بديع الزمـــان : وما الغريب في اسمها ؟

ضوء المكـــان : كل ما فيه غريب ومدهش، ففيه يا ولدي مغناطيس وشاعرية، وفيه رنة وموسيقا، وفيه أنوثة صاخبة ومتفجرة، وفيه ..

بديع الزمـــان : نعم نعم؟ وما هو اسمها يا سيدتي الموت؟

ضوء المكـــان : اسمها .. اسمها .. عبد القادر .. ليس عبد القادر الجيلاني طبعاً ..

بديع الزمـــان : مـ...ماذا . أتسخرين مني؟ هذا الاسم اسم رجل .. رجل ليس به جاذبية ولا أنوثة، ولا يمكن أن تكون به ذرة جمال..

ضوء المكـــان : قد يكون ذلك عندكم أنتم، في الدنيا الفانية يا بديع الزمان.. أما عندنا فالأمر يختلف .. هل تعرف ملكة الجمال عندنا، ما هو اسمها ؟

بديع الزمـــان : ما هو اسمها ؟ اسمها قدور ..

ضوء المكـــان : لا ..

بديع الزمـــان : أو بوشعيب..

ضوء المكـــان : لا لا .. اسمها .. بوعزة، وحق الله هذا هو اسمها ..

بديع الزمـــان : (يضحك) ما أغربك يا سيدتي ..

ضوء المكـــان : بل قل، ما أغرب دنياكم .. أنتم أيها الناس لا تفهمون شيئاً، ومع ذلك فإنكم تصرون على أنكم تفهمون كل شيء .. إنني

أكتب لكم شيئاً، وتعيشون أشياء أخرى مختلفة .. أكتب مسرحيات ساخرة، يحولها المخرجون المغفلون إلى مآس دامعة ..

بديع الزمـــان : أحم ..

ضوء المكـــان : طبعاً طبعاً، أنت لست منهم.. أنت مخرج ذكي ومتفهم، أعرف هذا جيداً .. أنت مخرج حقيقي.. أنت مخرج يبحث عن مسرحية، وأنا التي سأعطيك هذه المسرحية .. هل تعرف يا بديع الزمان، في أي شهر نحن اليوم؟

بديع الزمـــان : في أي شهر؟ أظننا والله أعلم في شهر رجب ..

ضوء المكـــان : نعم ، ولأننا في شهر رجب، فإنني سأريك العجب .. انتظر هنا لحظة وسوف أدخلك مملكتي السحرية .. اجلس و لا تتحرك، فأنا عائدة إليك بسرعةالبرق .. (تخرج)

بديع الزمـــان : (وحده) أظن أن أحسن شيء يمكن أن أقوم به الآن هو أن أهرب .. (يتحرك ليهرب ، ولكنه يلتقي بضوء المكان وهي عائدة)

12 - في التابوت أوراق وفي الأوراق أعمار ..

(تدخل ضوء المكان وهي تجر خلفها نعشاً)

بديع الزمـــان : ما هذا يا ضوء المكان؟

ضوء المكـــان : من حقك أن تقول ما هذا يا ضوء المكان، لأنك يا ولدي لا تعرف شيئاً ..هذا الشيء الخشبي، يمكنك أن تقول عنه تابوت ..

بديع الزمـــان : تابوت ؟ تابوت موتى ؟

ضوء المكـــان : نعم .. وإذا شئت فهو مجرد صندوق فقط . صندوق طويل وجميل . أنت حر يا بديع الزمان.. سمه كما تشاء .. (تفتح الصندوق) خذ .. أمسك (تلقي إليه بجمجمة)

بديع الزمـــان : يا ويلي .. إنها جمجمة حقيقية ..

ضوء المكـــان : لا تخف يا ولدي ، لأن هذا المخلوق الإنسي قد كف عن ارتكاب المعاصي وصناعة المآسي . لقد طغى وبغى ، وقهر العباد وتجبر ، وانتفخ وتكبر ، ولكنه الآن وكما ترى أصبح مجرد عظام فقط .. عظام ليس فيها لحم ولا شحم، ولا حتى .. قطرة دم ..

بديع الزمـــان : ومع ذلك أبعديها عني .. أبعديها ، فأنا أكره العظام وأخشاها ..

ضوء المكـــان : (وهي تعيد الجمجمة إلى الصندوق) آه لو تعرف يا بديع الزمان ، كم من الأرواح تسكن هذا التابوت.. عفواً .. هذا الصندوق ..

بديع الزمـــان : في هذا الصندوق أرواح ؟

ضوء المكـــان : نعم .. أرواح شخصياتي المسرحية ، ففيه أخبئ كتاباتي الغريبة والعجيبة . و لا أحد قبلك رأى هذه الكتابات ، أو سمع عنها .. أنت محظوظ يا ولد للا حليمة .. ها .. ها ..

بديع الزمـــان : يا ويل أمي . إنها تعرف حتى اسم أمي .. (تخرج ضوء المكان كتباً من الصندوق) ما هذا ؟ كتب في التابوت ؟ هذا شيء لم أره قبل الآن ..

ضوء المكـــان : (تضحك) نعم، ولن تراه بعد الآن أبداً .. إن كل أشيائي

الثمينة أضعها في هذا الصندوق السحري . أضع ملابسي وأدوات الحمام والمطبخ وأدوات الزينة أيضاً .. يا بديع الزمان ، أنا ، من دون الناس جميعاً أعرف ما لايعرفون وأبصر ما لا يبصرون . أعرف أن هذا التابوت الخشبي هو بيتنا الحقيقي ..

بديع الزمـــان : أعوذ بالله . مالنا وهذا الكلام الذي لا يسر القلب ؟

ضوء المكـــان : خذ .. (تعطيه كتاباً) اقرأ يا بديع الزمان . إنني أسمح لك أن تدخل عالمي وأوهامي ، وأن تبحر في خيالي المجنون .. خذ .. (تعطيه كتباً بعناوين غريبة)

بديع الزمـــان : (يقرأ) موت في الظهيرة، مسرحية كوميدية ضاحكة .. هذا العنوان، متفائل يا ضوء المكان، أليس كذلك ؟

ضوء المكـــان : نعم . متفائل جداً .. تابع القراءة، ولكن بلا تعليق .. اقرأ العناوين فقط ، ومن بعد ستعرف ما خلفها ..

بديع الزمـــان : (يقرأ) (الطاعون والصابون) مسرحية اجتماعية فكاهية واقعية رمزية وسوريالية، في سبعة وعشرين قرناً .. التعليق من بعد .. أليس كذلك ؟

ضوء المكـــان : اقرأ يا بديع الزمان .. قلت لك اقرأ ، فأمامك فرصة لا تتكرر مرتين..

بديع الزمـــان : (يقرأ) ماراً .. فات، وأهداني برقوقة ومات، مسرحيتان ضاحكتان حتى .. الممات ..

ضوء المكـــان : اقرأ هذا العنوان أيضاً وقل لي، أليس رائعاً ؟

بديع الزمـــان : ديوان الحشاشين .. أظنني قرأت هذا العنوان من قبل، ولكن .. متى.وأين ؟ لم أعد أذكر ..

ضوء المكـــان : هذه آخر ما كتبت ، وهي أروع وأبدع مسرحياتي كلها . ولعل أجمل ما فيها يا بديع الزمان أنها مسرحية واقعية، وعندما أقول عنها واقعية، فإن ذلك معناه أنها تقع الآن ، أو أنها سوف تقع بعد الآن ، أو أنها يمكن أن تقع ، في أي زمن من الأزمان . لست أدري .. خذ.. اقرأ أيضاً هذا العنوان .. هو عنوان كما ترى مشحون بالدلالات والمعاني .. اقرأ .. اقرأ..

بديع الزمـــان : (يقرأ) الطب القاتل .. تقصدين المرض القاتل . أليس

كذلك يا ضوء المكان؟

ضوء المكـــان : أبداً .. إنني أعرف ما أقول وما أكتب ، ففي المسرحية طبيب سيئ الحظ ، اسمه.. لا يهم اسمه .. يريد أن يقضي على المرض، فيقضي على المريض، أليس هذا موقفاً مضحكاً ؟

بديع الزمـــان : فعلاً . هو موقف مضحك .. مضحك إلى حد البكاء دماً ..

ضوء المكـــان : أنا في كل كتاباتي لا أكتب إلا ما هو هزلي ، ولكن الناس لا يفهمون .. ما أتعس حظي . أنا أكتب الهازل ، وهم يمثلون المآسي . إنه الجهل والأمية يا بديع الزمان ..

بديع الزمـــان : فعلاً هو الجهل.. الجهل المبني دائماً على المجهول ..

ضوء المكـــان : من حقك أن تعرف ، أن لا شيء أحب لدي من أن يضحك الناس ..

بديع الزمـــان : هذا شيء واضح .. واضح كالنار ..

ضوء المكـــان : ولكنهم لا يضحكون، وهذا شيء يقلقني ويعذبني ، ويصيبني بالاكتئاب هناك خلل بلا شك . خلل ليس في الكتابة طبعاً ، ولكن في الناس .. في عقولهم المتحجرة ، وفي نفوسهم المريضة ..

بديع الزمـــان : أنا في رأيي المتواضع أنه لو كتبت بشكل آخر لفهموا، أستسمحك ، فقد أكون خاطئاً ..

ضوء المكـــان : وأنت دائماً خاطئ .. خاطئ حتى النخاع . إن هؤلاء الناس لن يفهموا شيئاً .. هل تريد أن تعرف لماذا ؟

بديع الزمـــان : نعم ، لماذا ؟

ضوء المكـــان : لأنهم مغفلون ومنغلقون ومتقوقعون وهلاميون وشبحيون وظلاميون ورجعيون وسلفيون ومتخلفون وانتهازيون ووصوليون وحربائيون وغائبون و منفيون..

بديع الزمـــان : و لكنه مع ذلك يا ضوء المكان يمكن أن أقول ..

ضوء المكـــان : لا تقل شيئاً ، لأنني أعرف الناس أحسن منك ، فهم لن يكفوا عن الشكوى أبداً.. الشكوى من الأشياء الطبيعية والمنطقية.. لماذا؟ قل يا بديع الزمان، هل يصح أن تغضب من النار ، إذا وجدت هذه النار محرقة؟

بديع الزمـــان : أبداً لا يعقل ..

ضوء المكـــان : حسناً ، أومن مياه البحر أو المحيط ، إذا كانت هذه المياه

مالحة ، وكانت مغرقة؟

بديع الزمـــان : كيف أغضب ؟ تلك هي طبيعة البحر يا مولاتي ..

ضوء المكـــان : رائع .. أنا لو جئت الناس يا بديع الزمان وسألتهم ، كيف تريدون أن تكون مسرحيتكم لما كتبت إلا مسرحية واحدة . مسرحية طويلة وبلا نهاية .. صدقني إذا قلت لك، لا أحد يفكر في الحبكة العامة والكلية إلا المؤلف.. يعني .. إلا أنا..

بديع الزمـــان : لن نتفاهم يا ضوء المكان ، لأنك لا تسمعين ما أقول ..

ضوء المكـــان : لا .. إنني وحق الله أسمع ..

بديع الزمـــان : عجباً . وماذا تسمعين ؟

ضوء المكـــان : أسمع ما أقول أنا . نعم . لأنني وحدي التي تنطق وتقول، ثم إنني أيضاً ، أكتب وأقرأ .. أقرأ ما أكتب .. خذ هذه المسرحية واقرأ .. (تعطيه كتاباً آخر) عنوانها لا يهم .. يمكنك أن تعطيها عنواناً من عندك إذا شئت .. اقرأ .. من أول صفحة ..

بديع الزمـــان : (يقرأ بصوت مرتفع) تفتح الستارة على رجل عجوز ، وهو على سرير الموت (يفتح مسرح داخل المسرح) ما هذا ؟ (يكف عن القراءة) لقد جرت العادة أن تأتي الموت في ختام المسرحية .. في الختام يا ضوء المكان وليس في البداية ..

ضوء المكـــان : تابع القراءة يا ولدي . تابع وستعرف كل شيء في حينه ..

بديع الزمـــان : (يقرأ) يدخل أولاد الرجل وأحفاده و هم يبكون (يشخص في المسرح الآخر ما يقرأ بديع الزمان) و حق الله حرام عليك يا ضوء المكان .. انظري .. إنهم يبكون ..

ضوء المكـــان : أنت لا تفهم شيئاً يا بديع الزمان ، فهذا العجوز المحتضر غني .. غني جداً ، هل فهمت ؟

بديع الزمـــان : نعم، وما الضرر في ذلك ؟

ضوء المكـــان : الضرر ليس في ماله ولكن في بخله .. هذا العجوز يضطهد ذريته ببخله الشديد ، إنه لا خلاص لهم إلا بموته؛ ذلك هو اقتناعهم ، وأنا أشاطرهم فيه .. ماذا تنتظر؟ تابع القراءة ولا تقل شيئاً .. (ينتقل الضوء إلى الخلف ليبقى بديع الزمان وضوء المكان في شبه ظلمة)

13 - فراش الموت أم فراش البعث ؟

(الجد العجوز في السرير لا يتحرك)

الابـــــن 1 : يا رب العالمين.. ارحم ضعفنا ..

الابـــــن 2 : انظر يا أخي . إنه لم يعد يتنفس إلا بصعوبة ..

الحفيـــــد1: تلك حشرجة الموت بلا شك ، فادع له يا عمي ..

الحفيـــــد2 : (وهو يضع يده على قلب العجوز ليجس نبضه) اللّه أكبر .. قلب جدكم انتهى .لقد توقف عن الحركة يا أخوتي ويا أبناء أعمامي .. (يبعد العجوز يده عن صدره)

الابـــــن 1 : إذاً ، هي ساعة الموت ولحظة الوداع .. يا أيها المقرئ ، أتل عليه آيات بينات من كتاب اللّه تعالى ..

المقـــــرئ : أعوذ باللّه من الشيطان الرجيم .. بسم اللّه الرحمن الرحيم ..

العجـــــوز : (يفتح عينيه ، وينظر في غضب إلى المقرئ) أعوذ باللّه منك أنت .. إيه .. أين تظن نفسك؟ في ضريح سيدي أحمد أبركان؟ وأنتم؟ لماذا تتحلقون حولي؟ وماذا تريدون مني؟ أنا ليس لدي ما أعطيكم .. لقد أعطيت ما يكفي .. أعطيت وأعطيت حتى أصبحت عجوزاً مريضاً ..

الحفيـــــد1: يا جدي .. ارحم ضعفك .. إن هذا الصراخ لا يليق بك ، خصوصاً وأنت في هذه اللحظة المشهودة ..

العجـــــوز : هذه اللحظة ؟ ماذا بها هذه اللحظة ؟ ماذا بها ؟ ثم أيضاً، لماذا تنظرون إلي هكذا ؟ إنني .. إنني .. (يضع يده على صدره وكأنه يمسك بشيء يخاف عليه)

الابـــــن 1 : هذه المرة ، أظنه مات حقاً .. (وقد أغمي على العجوز)

الحفيـــــد1: مـات ؟

الابـــــن 2 : نعم ، وبشكل نهائي ورسمي هذه المرة .. يا أيها الأولاد والأحفاد ، هنا وهناك وفي كل البلاد ، من حقكم الآن أن تبكوا زين الشباب . رأس العائلة مات..

(يبكون عند رأسه، فيحرك العجوز يده طالباً منهم ألا يصرخوا عند أذنيه)

الحفيـــــــد1: إيه .. توقفوا .. توقفوا قليلاً . لقد رأيت جدكم يتحرك ..
الحفيـــــــد2 : لا .. يخيل إليك فقط يا ابن عمي .. استمروا في البكاء.. ابكوا بحرقة شديدة ولكم عند رب العرش العظيم أجر عظيم ..
الحفيـــــــد1: وحق الله رأيته .. رأيته فعلاً يتحرك ، ألا تسمعون ؟
الحفيـــــــد2 : آه . ومتى كان الموتى يتحركون ؟ غطوا وجه جدكم باللحاف، واستمروا في مأدبة البكاء ..

(يغطيه أحدهم فينزع العجوز الغطاء عن وجهه)

العجـــــــوز : (يفتح عينيه) عجباً . أمازلتم هنا ؟ يا ويلي .. إنكم تبكون. هل مات أحد من أفراد العائلة ؟ أخبروني .. حتى أبكي معكم ..
الحفيـــــــد2 : يا جدي .. نحن لا نبكي لأن شخصاً مات ، ولكن ، لأن شخصاً عزيزاً سامحه الله لم يمت بعد ، هل فهمت ؟
العجـــــــوز : ماذا أقول لك يا ولدي ؟ إذا أردت الحقيقة فأنا لم أفهم ..
الابـــــــن 1 : لم تفهم أم أنك لا تريد أن تفهم ؟
العجـــــــوز : آه .. آه قلبي .. قلبي .. (وهو يضع يده على صدره)
الحفيـــــــد1: ماذا به قلبك يا جدي ؟ (يضع يده على صدر العجوز، فيدفعها له بعيداً)
العجـــــــوز : أبعد يدك، ماذا تريد مني ؟ ابتعدوا عني كلكم .. ابتعدوا، ودعوني وحدي .. أعطوني لحظة .. لحظة واحدة فقط، حتى أفكر في مستقبلي في هدوء .
الحفيـــــــد2 : هاها .. هل سمعتم ما قال جدكم ؟ إنه مازال يفكر في المستقبل ..
الحفيـــــــد1: هوفعلاً يفكر في المستقبل ،وهذا من حقه ،ولكن المستقبل..هل يفكر فيه ؟ تلك هي المسألة يا أعمامي ويا أبناء أعمامي ..

الحفيـــــــد2 : إنه يفكر في مستقبل غريب وعجيب .. مستقبل اسمه .. اسمه ..

الحفيـــــــد1: اسمه الماضي الذي لا يمضي .. (لنفسه) هذا العجوز لعنة ربانية لا خلاص منها إلا بارتكاب جريمة ..

الابـــــــن 1 : إنني أريد أن أعرف شيئاً ، وهو لماذا يضع يده على صدره . أظنه يخفي عنا شيئاً

العجـــــــوز : أبدا . أنا لا أخفي عنكم إلا عورتي . ابتعدوا عني .. ابتعدوا أيها المساخيط الملاعين ..

الحفيـــــــد2 : أنا أقول ولا أظنني سأكون خاطئاً إنها رزمة أوراق مالية مهمة وكبيرة جداً ..

العجـــــــوز : لا لا .. ومن أين يأتيني المال يا أولاد الحلال ؟ من أين ، وأنا رجل رقيق الحال؟

الحفيـــــــد1: أما أنا يا ابن عمي فأقول ، إن ذلك الشيء الذي في صدره ذهب ..

العجـــــــوز : ذهب ؟ أنا أملك الذهب يا أولاد الكلب ؟

الحفيـــــــد1: ذهب خالص ، من العيار الممتاز يا ابن عمي .. آه .. متى نراه يا الله ؟ متى . . متى ؟

العجـــــــوز : ابتعدوا عني .. ابتعدوا وإلا ناديت رجال الإطفاء، واستنجدت بالوقاية المدنية ..

الحفيـــــــد2 : من حقنا أن نعرف يا جدي ماذا تخفي ..(ينتزعون من صدره شيئاً وهو يقاوم ويصرخ كالأطفال)

العجـــــــوز : لا .. لا .. دعوها ولا تأخذوها مني . إنها ملكي أنا .. ملكي وحدي ، ولن يشاركني فيها أحد ..

الحفيـــــــد1: ما هذا ؟ مجرد صورة ملونة ؟

العجـــــــوز : يا مغفل .. المهم ليس الصورة ، ولكن صاحبة الصورة . انظروا إليها جيدا وأخبروني، ألا تليق هذه الحسناء الفاتنة بجدكم ؟

الابـــــــن 1 : قل يا أبي .. هذه الصورة، هي صورة من؟

العجـــــــوز : صورة من؟ إنها بالتأكيد ليست صورة أمك .. ها ها .. أنا لن أبوح بأسراري ، ولن أكشف لكم أبداً، عن تلك التي أشعلت

ناري .. لن أقول شيئاً ، وسأدع الحسد يأكل قلوبكم أكلاً .. ها ها ..

الحفيـــــد2 : (وهو يتأمل الصورة عن قرب) آه .. عرفتها .. هذه صورة ممثلة سينمائية مشهورة ..

الحفيـــــد1: نعم نعم .. هذه .. ليلى حسني . من أعطاك الصورة يا جدي؟

العجـــــوز : هي .. وحق لا إله إلا الله هي ..

الابـــــن 1 : يا أيها النمس ، ما هذا الذي تفعل ؟ ألا تعرف أنك الآن خارج العمر وخارج الدنيا و خارج التاريخ ..؟

الحفيـــــد2 : ولم يبق سوى أن يخرج من الجغرافيا أيضاً .. (يضحك)

العجـــــوز : ماذا أفعل؟ إنني أعيش حياتي يا أعداء الله .. أعيش مراهقتي على طريقتي الخاصة دعوني .. دعو وو نــي أ.. (يغمى عليه من جديد)

الحفيـــــد1: هذه هي غفوة الموت الأخيرة . لقد قال لكم دعوني أ .. أموت، ومات .. انظروا.لقد رفع أصبعه للتشهد . يا مولانا المقرئ أين أنت ؟ سبحان الله ..

المقـــــرئ : لا إله إلا الله و لا يدوم إلا وجه الله ..

الابـــــن 2 : ساعده يا مولانا على النطق بالشهادة ..

المقـــــرئ : (وهو يمسك بيد العجوز) قل ورائي يا سيدي ..لا إلـه إلا الله. قل .. (يحرك العجوز رأسه بالنفي وهو مغمض العينين)

الحفيـــــد1: يا جدي .. انطق بالشهادة قبل فوات الأوان، انطق، إن الموت لا ينتظر أحداً ..

الحفيـــــد2 : ألا تلاحظون أنه يريد أن يقول شيئاً ؟ شيئاً ما ..

الحفيـــــد1: نعم نعم ، ولكن يظهر أنه غير قادر على ذلك ..

الحفيـــــد2 : يا إلهي .. ماذا يريد هذا العجوز أن يقول ؟ ليتني كنت أعرف ..

الحفيـــــد1 : الأمر سهل . أبوكم وجدنا خبأ مالاً كثيراً ، لكم ولنا ، ويريد أن يطلعنا كلنا على مكان الكنز ..

أصـــــوات : كنز؟ في الأمر كنز إذاً؟ أين هو الكنز ؟ كنت أعرف أن أمواله أوفر من ذنوبه ..

الابـــــــن 1 : يكفي ثرثرة ، وساعدوا جدكم على الكلام . ساعدوه لينطق ..

الابـــــــن 2 : انطق يا أبي العزيز .. انطق ..

الحفيـــــــد1: اكشف عن أسرارك ، واسترح ..

الحفيـــــــد2 : قل أين خبأت المال .. أين ؟ في المقبرة ؟ تحت جذع الشجرة؟ فوق السطح ؟ تحت السطح ؟ قل ..

العجـــــــوز : أريد .. (وهو ينطق بصعوبة شديدة)

الحفيـــــــد1: (في فرح) هل سمعتم ؟ إنه يحاول أن يتكلم . لقد قال أريد.. وحق الله قالها . لقد سمعته، يا جدي العزيز، هل تريد أن نأخذك إلى مكان ما ؟

الحفيـــــــد2 : مكان وضعت فيه شيئاً ..

العجـــــــوز : لا لا ..

الحفيـــــــد1: يا أعمامي ويا أولاد أعمامي . أخيراً نطق الجد .. (في فرح)

العجـــــــوز : أنا لا أريدها إلا هي .. هي أو لا أحد ..

الجميـــــــع : هي ؟ هي من ؟

العجـــــــوز : القايدة .. القايدة بنت الباشا حمو .. هي .. هي الجرح والطبيب والداء والشفاء وهي الحر والظل (يغني وهو يحاول بصعوبة أن يهتز مع الغناء)هي هي و جايا تحمار وتخضار أنا وليدي هي هي وطالقة السالف علكتف أنا وليدي

الحفيـــــــد2 : جدي .. جدي .. سبحان الله ..

العجـــــــوز : أنا لست جد أحد .. ألا تسمعون ؟ أنا فقط حبيب القايدة و .. حبيب المخزن..حبيبها هي وحدها .. هي هي وجايا تحمار وتخضار (يغني)

الحفيـــــــد1: القايدة ؟ ولكن القايدة لاتزال صبية ..

العجـــــــوز : أعرف، وقلبي أنا ما تعلقها إلا لأنها صبية.. هل تريدون أن أتزوج عجوزاً شمطاء؟

الحفيـــــــد2 : يا جدي .. تأكد بأن هذه الصبية لا يمكن أن تخدمك أحسن منا ..

العجـــــــوز : يا هذا المغفل .. ألا تفهم بأنني أريدها للزواج ؟

الجميـــــــع : (في صوت واحد) للزواج ؟

العجـــــــوز : الزواج الحلال .. قلت الحلال . ألا تفهمون يا أولاد الحرام؟

الابـــــــن 2 : ولكنك يا أبي على فراش الموت ..

العجـــــــوز : غيرت رأيي . نعم . غيرته، واستبدلت فراش المرض وفراش المرض بفراش الحلال .. الحلال حبيب الله يا عباد الله .. لقد عدلت عن فكرة الموت لأنها .. لأنها فكرة بليدة، وقررت أن أتزوج . أخبروني .. أليس الزواج أحسن من الموت يا أولادي وأحفادي ؟

الابـــــــن 1 : أحسن منه بالتأكيد ، ولكن ، لكل شيء أوان ..

العجـــــــوز : سأتزوجها يا ولدي ، ويعود لي شبابي . لقد كنت مريضاً، وقد اقتنعت الآن بأن المرض لا يليق بي .. لقد شفيت يا أصحابي .. شفيت وأصبحت كالبغل..

الحفيـــــد2 : سبحان الله . أصبحنا أصحابه ..

الابـــــــن 1 : هذا الذي بك يا أبي ليس مرضاً ، وإنما هو ..

العجـــــــوز : (في غضب) لا .. بل هو مرض .. مرض قلت لكم . أما اسمه فهو .. فهو ..آه .. تذكرت .. شلل الأطفال .. (يتحلقون حوله وهم يبكون . يبقى المشهد جامداً ، بينما تنتقل الإضاءة كاملة إلى ضوء المكان وبديع الزمان)

14 - محمد قالوا مات ..

(تضحك ضوء المكان بصوت مرتفع ، بينما يبقى بديع الزمان واقفاً في مكانه وهو جامد الملامح)

ضوء المكـــان : هذا مشهد مضحك .. يقتل من شدة الضحك . أليس كذلك يا بديع الزمان؟

بديع الزمـــان : ماذا أقول لك ؟ سامحك الله يا ضوء المكان ..

ضوء المكـــان : أظنك لم تفهمني، ولا هؤلاء الناس فهموني .. كان قصدي أن أقول إن هذا المشهد كان ينبغي أن يكون مضحكاً، ولكنهم لم يضحكوا، وأنت أيضاً لم تضحك ، فلماذا ؟ لماذا يا بديع الزمان ؟

بديع الزمـــان : لست أدري لماذا . ربما لأننا نميل إلى نوع آخر من الكوميديا ..

ضوء المكـــان : أي نوع ؟ أنا لدي كل الأنواع ، وأي شيء تريده فهو حاضر، وهذا الصندوق يسع كل ألوان الضحك .. الضحك الأبيض والضحك الأسود والضحك الأصفر والضحك الرمادي .. هاها .. كل شيء هنا .. (مشيرة إلى الصندوق)

بديع الزمـــان : ولكن ..

ضوء المكـــان : لا تقل ولكن .. هل نسيت من أكون؟ أنا المؤلفة الحقيقية . المؤلفة لكل ما كتب الكاتبون ولكل ما سوف يكتبون ..

بديع الزمـــان : أعرف .. أعرف ..

ضوء المكـــان : المؤلفة التي هي الموت .. أنا أكتب بالدم كوميديا حمراء، هل فهمت الآن؟

بديع الزمـــان : تقريباً ..

ضوء المكـــان : يا بديع الزمان افهمني كثيراً.. المؤلفون المزيفون يكتبون كما أكتب، فمنهم من يكتب بماء الورد، ومنهم من يكتب بماء الذهب، وأسوأ كل المؤلفين هم أولئك الذين يكتبون بالحبر الجاف أو بقلم الرصاص ..

بديع الزمـــان : نعم نعم. وما رأيك يا ضوء المكان لو نعود لهؤلاء الناس المساكين؟ فلا يصح أن يظلوا هكذا كالتماثيل ..

ضوء المكـــان : طبعاً لا يصح .. فلابد أن أحركهم، وإنني لقادرة على ذلك، وحتى على ما هو أكثر من ذلك .. إنني مازلت أفكر لهم في نهاية محترمة ومعقولة ، نهاية تكون ضاحكة جداً جداً ..

بديع الزمـــان : إذاً، ماذا تنتظرين يا ضوء المكان؟

ضوء المكـــان : كل ما لدي الآن هو اقتراحات فقط .. اقتراحات مؤقتة .. قلت اقتراحات .هل سمعت؟ أما الخاتمة النهائية فلم أقرر فيها بعد .. هاك .. هذا هو الإقتراح الأول .. (تشير بيدها إلى المشهد الجامد فيعود إليه الضوء والحركة)

الحفيـــــد2 : (وهو يهم بالخروج) وداعاً يا أعمامي ويا أولاد أعمامي.. وداعاً ..

أصـــــوات : إلى أين يا» السي امحمد» ؟ إلى أين ؟ ابق معنا يا ولد العم .. ابق معنا ولا تغادرنا، فخيمة البؤس تسع الجميع ..

الحفيـــــد2 : (بطريقة مسرحية فيها شاعرية مفتعلة) سأغادر .. أغادر هذا التراب، وأركب متن السحاب ، وأقول وداعاً .. وداعاً يا كل الأهل والأحباب ، وداعاً ..

الحفيـــــد1: ماذا تخرف يا السي امحمد ؟ ألا تعرف ، أن مثل هذا الكلام الجميل لا يمكن أن يقال إلا في التمثيل؟

الحفيـــــد2 : (وهو ينظر إلى السماء) يا أيتها الملائكة التي في السماء خذيني إليك خذيني..

العجـــــوز : (في فرح) خذيه .. خذيه . ألا تسمعين ؟ خذيه هو واتركيني أنا . خذيهم كلهم ، لأنهم لا يعرفون فن العيش .. ها ها .. تريدون موتي يا أولاد الأبالسة؟

الحفيـــــد1: أبداً .. أبداً يا جدنا العزيز ..

العجـــــوز : اسمعوا .. اسمعوني كلكم . من الآن فصاعداً (تنتابه نوبة، فيتوقف لحظة عن الكلام) ماذا كنت أقول لكم ؟

الابـــــن 1 : كنت تقول يا أبي . من الآن فنازلاً .. (مشيراً بيده إلى الأرض فيضحك الجميع)

الحفيـــــد2 : يا أيتها الملائكة قربيني إليك . مدي إلي من العلياء سلماً لأصعد إليك . دنيا الناس ظالمة وقاسية .. غداً ، يا أولاد العم ، يغني المغني في الراديو و يقول (يغني) ياك امحمد

قالوا مات (يتكلم) ويحكي الناس .. كل الناس .. في القرى والمدائن وفي كل الأماكن، ويبكي الحمام، وتبكي العصافير والسواقي وتبكى العذارى (سلطان لعزارى) والذي هو أنا .. (يغني من جديد) ياك امحمد قالوا مات.. (يبكي الجميع بينما الجد يقهقه) ألا إن سألوكم عني فقولوا، ياك امحمد قتلته القلوب الحجرية ، ودمرته الأكباد الصخرية .. (وهو ينظر إلى الجد) أنا ..

العجـــــوز : أنت .. ماذا بك أنت ؟ وما الذي دهاك ؟

الحفيـــــد2 : يا جدي . أنا ما عذبني ولا قتلني أحد سواك ..

العجـــــوز : عجباً . أنا ؟

الحفيـــــد2 : نعم أنت .. أنت الذي تدوس الورد والزهر ، وتزرع الحنظل والشوك ، وتطعمنا من شجر الزقوم ..

العجـــــوز : الزقوم ؟

الحفيـــــد2 : لست أنا الذي يقول هذا ، ولكنه المغني ..

العجـــــوز : آه .. المغني . وماذا يقول هذا المغني ؟

الحفيـــــد1: يقول (يغني) ياك امحمد قالوا مات .. (يبكي الجميع. يضع الحفيد2 وشاحا أخضر، ويمشي بخطى متثاقلة نحو الكواليس ، ويختفي . يتعالى صوت الغناء والبكاء ، ثم يتجمد المشهد)

ضوء المكـــان : (تضحك وحدها) لقد .. لقد توفيته يا بديع الزمان .. توفيته ..

بديع الزمـــان : عجباً .. تضحكين، مع أن الولد انتحر ..

ضوء المكـــان : نعم . انتحر . انتحر لأنه مغفل ، والموت يا بديع الزمان لا يحترم المغفلين ولايحترم حتى العباقرة ، وعلى العموم فإن الموت لا يحترم أحداً .. هل فهمت ؟

بديع الزمـــان : ما أغربك يا ضوء المكان ..

ضوء المكـــان : ليس في الأمر غرابة ، وهذه هي الدنيا ، فافهموها كما هي. افهموها وافهموني .. قل يا بديع الزمان ، هل يعقل، أن هذا الصبي وهو في مقتبل العمر هل يعقل أن يرهن حياته بموت الآخرين؟ لقد ربط وجوده بالعدم فكانت النتيجة هي

العدم، ومن يزرع الهباء يجني الخواء، ولو فكرت قليلا، لوجدتها نتيجة معقولة ومنطقية و .. عادلة ..

بديع الزمـــان : أعترف لك يا ضوء المكان أنني ما فهمت شيئاً ..

ضوء المكـــان : أعرف .. أعرف بأنك لم تفهم ، ولذلك فإنك لم تضحك كما ضحكت أنا ... حتى هؤلاء الناس أيضاً لم يفهموا . لم يفهموا قصدي، ولذلك فهم يبكون ..آه . لو فهموني يا بديع الزمان كما فهمت نفسي ، لماتوا من شدة الضحك ..لقد قلت لك إن هذه نهاية مؤثرة .. أتذكر؟ ويمكنني أن أعطيك نهاية أخرى ، أو نهايات أخرى .. أنت وما تشاء .. اطلب ما تريد ..

بديع الزمـــان : لالا .. هذه النهاية العجيبة تكفي ..

ضوء المكـــان : إن كان الأمر هكذا ، فينبغي أن أحرر هؤلاء الناس ، وأن أجعل هذه النهاية نهاية رسمية ونهائية (تمسك بقلم و تكتب في دفتر كبير) يخرج الولد السي امحمد ، وقد لف جسده في وشاح أخضر .. (يعاد تشخيص المشهد السابق نفسه بشكل صامت) يشيعه أهله وأحبابه بالبكاء والنحيب.. البكاء الحار والمضحك .. تخفت الإضاءة شيئاً فشيئاً . تصاحبها موسيقا حزينة ومضحكة ثم .. تنزل الستارة الحمراء .. (تنزل ستارة المسرح الداخلي ، ثم تفتح من جديد لنجد أن كل الشخصيات واقفة ، وكأنها تنتظر شيئاً)ما هذا ؟ ألم تسمعوا ما قلت وكتبت ؟ لقد وضعت النهاية ، وهي نهاية نهائية ، ولن أتراجع عنها أبداً . هل فهمتم ؟

الحفيـــــــد1: إن كان على الفهم فقد فهمنا ، ولكننا نريد .. تكلم أنت يا السي امحمد . قل ماذا نريد ..

الحفيـــــــد2 : نريد نهاية أخرى . نهاية نلقى فيها المسرات والأفراح والليالي الملاح ..

الحفيـــــــد1: (ها العار) يا ضوء المكان .. أعطينا نهاية أخرى ..

الحفيـــــــد2 : أعطينا خاتمة ترضي أحبابنا وترضينا ..

العجـــــــوز : (من سريره) وماذا بها هذه النهاية ؟ أليست جميلة ورائعة؟ إنها نهاية احتفالية ومأتمية ، ضاحكة وباكية ..

الحفيـــــــد1: أسكت أنت يا جدنا ، ولا تفسد علينا مطالبنا النقابية ..

ضوء المكـــان : ها .. لديكم مطالب ؟

الحفيـــــــد2 : نعم ، ولعلمك يا سيدتي ، ولعلم كل الناس ، فإن مطالبنا هاته ، هي مطالب عادلة ومشروعة ..

أصـــــــــوات : (تأتي من جمع الجهات) يا أيتها المؤلفة أعطينا وجوداً آخر ..نريد أعماراً أخرى و نهايات أخرى ومسرحيات أخرى نريد مسرحاً احتفالياً حقيقياً ..المأتمية لا تليق بنا ، ولا تليق بهذا الزمن .. حررينا منا ومن جلدنا حررينا من نهايات فيها الموت والأموات ..

ضوء المكـــان : ما هذا ؟ شخصياتي تناقشني ، وترفع أصواتها في وجهي؟ لن أسمح بمثل هذه الفوضى .. هل سمعتم؟ اخرجوا كلكم .. اخرجوا . لعنة الله عليكم أجمعين ..اخرجوا .. (ترميهم بالكتب والأوراق ، فيخرجون وهم يجرون) لم تعد الشخصيات المسرحية تستحي كما كانت . قبحه الله من زمن ..

العجـــــــوز : (وحده في السرير) خذوني معكم .. لا أريد أن أبقى هنا وحدي .. خذوني إلى حبيبتي القايدة .. القايدة بنت الباشا حمو.. (يعود الحفيد 1 يدفع السرير ، ويخرج به .. تنزل الستارة الداخلية من جديد)

15 - قالوا ..أعذب التمثيل أكذبه

بديع الزمـــان : هل سمعت يا ضوء المكان ما سمعت أنا ؟
ضوء المكـــان : وماذا سمعت أنت ؟
بديع الزمـــان : زغاريد الفرح .. إنه عرس بلا شك .. عرس يا ضوء المكان ..
ضوء المكـــان : آه .. العرس ليس اختصاصي والفرح ليس مهنتي ..
بديع الزمـــان : ما رأيك ؟ هل نذهب إليه ، فقد نجد فيه ما يضحك ؟
ضوء المكـــان : ما يضحك ؟ ها .. متى تفهم يا هذا أن العيب في الناس أنهم يترجمون كل شيء ترجمة سيئة . إنهم يحولون الفرح نكداً، ويجعلون المضحك مبكياً والمفتوح مغلقاً .. سندخل الآن بيتاً، كل ما فيه يضحك ، ويدعو للضحك ،ولكن الناس فيه لا يضحكون . تسألني لماذا، أقول لك لا أدري ، ولا أحدغير رب العالمين يدري .. (تجر التابوت الخشبي وتخرج ، يتبعها بديع الزمان . في الخلف يظهر سيف الرحمان وهو في زي تاريخي قديم . على رأسه عمامة كبيرة جداً .. كبيرة بشكل مبالغ فيه . يجلس وكأنه أعمى . يضع عكازه تحت ساقه ، ويتحسسه بين الحين والحين)
سيف الرحمن : (يجهش بالبكاء) إيه .. ملعون من يثق بهذه الدنيا ..
الرجـــل الأول : (للرجل الثاني) الله الله . ما أصدق هذا الرجل وما أنبله . نحن بكينا وانتهينا إلا هو ..
الرجـل الثاني : نعم . هكذا يكون الوفاء وإلا فلا ..
الرجـــل الأول : قل لي ، مثل هذا النموذج البشري أين تجده الآن ؟ لقد انقرض يا صاحبي .انقرض تماماً ، وهذا بلا شك واحد من البقية الباقية ..
الرجـل الثاني : تأمل وجهه يا صاحبي ، وقل ، ماذا رأيت ..
الرجـــل الأول : يا الله .. لقد رأيت نوراً على نور . ألوانه وأنواره تسحر الأبصار ..
الرجـل الثاني : إنه بلا شك عبد من عباد الله الصالحين . لنقترب منه خطوات ، فهو رجل رباني ، كله خير وبركات ..
الرجـــل الأول : لقد رأيته يقرأ مع المقرئين ، ويصلي مع المصلين ، ويبكي مع

الباكين ، ويدعو مع الداعين ..

سيف الرحمن : إيه .. كان الله ويبقى الله . لك الحمد والشكر يا الله ، على ما أعطيت ، على ما أخذت ، ولا إله إلا أنت ، وحدك لا شريك لك (يشهق باكياً . يقترب الرجلان)

الرجل الأول : يا مولانا الشيخ . لم تقل لنا ، لماذا تبكي ؟

سيف الرحمن : يا ولدي .. أنا وحدي الذي أعرف لماذا أبكي ..

الرجل الثاني : المرحوم يا مولانا .. المرحوم أبوك ؟

سيف الرحمن : بل هو أحب وأعز يا ولدي . إن هذا المرحوم الذي بكيناه هو أنا ..

الرجل الثاني : هو أنت؟

سيف الرحمن : نعم، وهو أنت أيضاً ، وهو كل أهله وصحبه وأحبابه وجيرانه. إن الذين نحبهم لا يموتون وحدهم ، ولا أحد يدفن وحده ، نعم، لا أحد.. (يبكي . تدخل ضوء المكان وبديع الزمان . تتوقف الحركة في المشهد السابق ، ويبقى سيف الرحمن والرجلان بلا حراك)

بديع الزمان : يا ضوء المكان . إنني أشم رائحة البخور .. (منزعجاً)

ضوء المكان : وماذا بها رائحة البخور؟

بديع الزمان : إنها .. إنها تذكرني بالتي لا تهمني .. تذكرني بالموت ..

ضوء المكان : وماذا بها الموت ؟ أليست امرأة مثل كل النساء ؟ امرأة جميلة ووقورة ومحترمة ؟ أنت مثلاً . لقد عرفتني ، وصاحبتني ، وخبرتني هل أسأت إليك مرة ؟ قل .. انطق ولا تخف ..

بديع الزمان : والله ما رأيت منك إلا العجب .. أنت فعلاً امرأة رائعة و مدهشة ، وهذا ما يحيرني ..

ضوء المكان : يحيرك ؟ كيف ؟

بديع الزمان : إن كنت طيبة ، كما أعرف أنا ، فلماذا يبكي هؤلاء الناس منك ؟ ولماذا كل هذا الخوف والفزع والهلع ؟ لماذا ؟

ضوء المكان : إنهم يبكون من غبائهم يا بديع الزمان .. انظر حولك وأخبرني . أليس هذاالبكاء المزيف مسلياً ومضحكاً ؟

بديع الزمان : يا إلهي ..(و قد اكتشف شيئاً ما) هذا الشيخ الأعمى ..

ضوء المكان : ماذا به ؟ أتعرفه ؟

بديع الزمـــان : إنه .. إنه سيف الرحمن ، ممثل فاشل . نعم . إنه هو ..
ضوء المكـــان : ها .. ألم أقل لك إن كل شيء يدعو إلى الضحك ؟ هو الآن مقرئ ومحدث وعالم ،وغداً هو زمار أو طبال ، وتلك هي مسرحية الدنيا الضاحكة ..
بديع الزمـــان : ولد الحرام ..
ضوء المكـــان : تعال نقترب منه أكثر ، حتى نسمع ما يقول للناس .. (يقتربان، فيتحرك المشهد الجامد)
سيف الرحمن : (وقد تحلقت حوله جماعة من الناس) الموت .. الموت .. اسألوني عنه أنا . فلا أحد يمكن أن يحدثكم عنه أحسن مني . أنا عرفته، وهو يعرفني ، وقد رأيته، ورآني..
ضوء المكـــان : الملعون (لبديع الزمان) قال يعرفني وأعرفه ، وهذا كذب . وحق الله كذب ..
سيف الرحمن : أنا جربت الموت وخبرته وذقت مرارته .. جربت الموت فعلاً ، صدقوني . لقد وصلت أعتاب الآخرة ، ثم عدت إلى بيتي . عدت هاربا ، أجري وأجري ..
الرجـــل الأول : وصلت بوابة الآخرة؟
الرجـل الثاني : كيف ذلك يا شيخنا ؟ كيف ؟
الرجـــل الأول : نريد أن نعرف ..
سيف الرحمن : كيف ؟ لقد دفنوني يا أحباب الله خطأ . دفنوني وما بي موت ولا شبه موت (يكفكف دمعه) لقد رأيت بعيني أولادي من حولي وهم يبكون . رأيت أمي وعمي وكل أهلي وهم يذرفون الدمع الحار . ورأيت صديقي الخائن وهو يعرض الزواج على زوجتي، كل هذا وأنا أرى وأسمع .. كان الفقيه عند رأسي يقرأ القرآن . صوته كان مزعجاً حقاً . ثم إنه كان يلحن في القراءة ، وهذا شيء ضايقني كثيراً، خصوصاً وأنني أحفظ كتاب الله ..
ضوء المكـــان : ماذا يقول صاحبك يا بديع الزمان ؟
بديع الزمـــان : (مفتوناً بما يرى ويسمع) يا إلهي . إنه يؤدي بشكل رائع ..
سيف الرحمن : لقد رأيت الموت بعيني . ذلك اليوم يا أحباب الله لم أكن أعمى ، ولم أصبح أعمى إلا بعد أن وضعوني في الحفرة،

وأهالوا علي التراب.. الموت بشع . بشع وقذر ومرعب .. مرعب يا أحباب الله ، وتفوح منه رائحة قاتلة ..

ضوء المكـــان : صاحبك هذا كذاب . وحق الله كذاب ..

بديع الزمـــان : أعرف . أعرف ، وأعذب التمثيل أكذبه يا ضوء المكان . هو كذاب فعلاً ولكنه موهوب .. موهوب حقاً .. كنت غبياً وظالماً يا ضوء المكان . ظننته ممثلاً فاشلاً ..

سيف الرحمن : الموت.. الموت .. اسألوني عنه أنا . إن وجهه لا يشبه الوجوه، له أنياب تقطردماً ، وله مخالب تقطر دماً ، وفي صدره عيون كالجمر تقطر دماً ، وكل عضو في جسده يقطر دماً ..

ضوء المكـــان : الملعون .. لقد أرعب الناس . انظر إلى وجوههم يا بديع الزمان . انظر . إنهم يرتعدون من الخوف ..

سيف الرحمن : لقد غسلوني وأنا عار تماماً .. أردت أن أستر عورتي ، فلم أقدر . ضمخوني بالمسك والطيب ثم كفنوني .. لقد وضعوني على لوح وساروا بي إلى المسجد .. لا إله إلا الله محمد رسول الله . أخرجت من بيتي ، ولا شيء في أذني إلا صراخ النسوة وكلام كثير من الرجال ليس له معنى .. (يبكي) أخرجت من أجل ألا أعود أبداً . وفي المسجد صلوا علي صلاة الجنازة ، وسمعت صوتاً يقول: (صلاة الجنازة وهو رجل) وتحسست حفرة مظلمة وباردة وضيقة؛ حفرة ليس لها قرار .. أنزلوني فيها ثم .. وضعوا اللحد علي ثم غابوا . رجعوا إلى بيوتهم الدافئة ، وبقيت أنا . بقيت وحدي أصرخ وأصرخ وأصرخ .. (يبكي فيبكي الناس معه) الموت الموت.. إنه لا شيء صحيح إلا الموت ، ولا شيءحقيقي إلا الموت ولا شيء فظيع ومخيف أكثر من الموت .. (يجهش بالبكاء)

ضوء المكـــان : بديع الزمان .. هل رأيت ؟ إنهم يبكون بحرقة ..

بديع الزمـــان : نعم . وهذا شيء مضحك حقاً . مضحك إلى حد البكاء دماً (يضحك) قبحك الله أيها الدجال ..

سيف الرحمن : في ظلمة القبر ، يا أحباب الله ، لم أكن أشم غير التراب .. التراب في عيني والتراب في حلقي وفي رئتي، ومن التراب خرجت لي جيوش من الدود . جيوش خلف جيوش خلف

جيوش .. (يبكون) وكل دودة يا عباد الرحمان في حجم ثعبان، ولولا أن تداركتني العناية الربانية ، وسمع بعض السكارى صراخي ، لكان الدود قد افترسني .. (يبكي) لقد أخرجوني من قبري ، وحرروني من موتي.. حرروني فعلاً ، ولكن ، إلى متى ؟ إلى متى ؟ ففي يوم من أيام الله لابد أن أعود إلى الحفرة نفسها.. أرجع و ترجعون ، وما أقسى وأفظع تلك الساعة أيها الغافلون .. (يجهشون بالبكاء . ينخرط معهم ضوء المكان وبديع الزمان ولكن ، بشكل ساخر)

16 - إيش تقول يا شيخ العربان ؟

(تقترب ضوء المكان وبديع الزمان من المصطبة التي يتربع عليها سيف الرحمن)

ضوء المكـــان : إيش تقول يا شيخ العربان؟ كلامك هذا كلام غريب . إنه غريب والكعبة ، وما سمعنا به أبداً، لا في بلاد العجم ولا في ديار العربان ..

سيف الرحمن : (وهو يتصنع العمى) من تكون هذه المرأة يا أحباب الله؟

ضوء المكـــان : عجباً.. أما عرفتني ؟ أنا حقيقة الحقائق يا سيف الرحمن (لنفسها) والله جميل هذا الاسم، سيف الرحمن ، خوصاً وأن الرجل بهذه العمامة المسرحية .. عمامته تلف بلداً كاملاً يا بديع الزمان ..

سيف الرحمن : غداً يا ابنتي سوف تعلمك الدنيا ، وستعرفين ما عرفت أنا..

ضوء المكـــان : يا شيخ العربان . أنت لا تعرف شيئاً ، وما كلامك هذا إلا كذب ..

سيف الرحمن : ماذا .. كلامي أنا كذب ؟

ضوء المكـــان : نعم كذب وبهتان يا شيخ العربان ..

سيف الرحمن : لن أرد عليك يا ابنتي . هل تعرفين لماذا ؟ أولاً لأنك امرأة ..

ضوء المكـــان : أنا لست امرأة ..

سيف الرحمن : وثانياً لأن المرحوم أبي أوصاني يوماً وقال ..كن أعمى يا ولدي عندما يحضر الحقراء ، وكن أصماً عندما ينطق السفهاء ، وكن حليماً عندما تشتمك النساء، ثقي يا مولاتي وتأكدي بأني ما سمعت ، ولا رأيت الآن شيئاً ..

ضوء المكـــان : أما أنا ، ولسوء حظي ، فقد سمعت ورأيت ..

سيف الرحمن : سمعت؟ وماذا سمعت يا مولاتي؟

ضوء المكـــان : سمعت أتفه التفاهات وأسخف السخافات .. أنت يا شيخ العربان أكذب الناس أجمعين ، من شنغهاي إلى برلين ..

سيف الرحمن : (لنفســـه) يا ويح أمي . من أين خرجـــت لي هذه

(المسخوطة) ؟

ضوء المكـــان : ماذا قلت يا سيف الرحمن ؟

سيف الرحمن : إنها تعرف اسمي .. لقد قلت . أنت أخت الشيطان . أخته أو أمه أو زوجه ،لست أدري . يا أحباب الله. أكثروا من ذكر الله ، وقولوا معي .. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ..

الجميـــــــع : (بصوت واحد) أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ..

سيف الرحمن : اقرأوا القرآن ، وسوف تذوب في الحال . قولوا معي ، باسم الله الرحمن الرحيم ، وستختفي في لمح البصر ..(يقرأ) قل هو الله أحد قولوا معي الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفؤاً أحد . صدق الله العظيم ، وبلغ رسوله المصطفى الكريم .. هيه . أخبروني يا من تبصرون . هل احترق ذلك الروح الخبيث ؟ هل ذاب في الهباء؟

ضوء المكـــان : (تهمس له في أذنه) لا .. إنه مازال هنا يا شيخ العربان .. (تضحك) أخزاك الله أيها الملعون ..

سيف الرحمن : ابتعدي عني .. ابتعدي قلت لك . إنني مسلح .. (يضرب بالعصا يميناً ويساراً)

ضوء المكـــان : هل رأيت يا بديع الزمان . صاحبك هذا لم يعد كما كان .. يا سبحان الله .لقد أصبح يضرب بالعكاز، مع أن اسمه سيف الرحمن .

الرجـــل الأول : والله العظيم هذه وقاحة . وقاحة كبيرة جداً ..

الرجـل الثاني : أفي مثل هذا الموقف الرهيب يضحك الناس أيتها المرأة ؟

ضوء المكـــان : وماذا به هذا الموقف ؟ أليس مضحكاً ؟ (تضحك)

بديع الزمـــان : (لنفسه) فعلاً . مثل هذه المواقف لا تضحك الناس ، ولكن ضوء المكان ،هل هي من الناس ؟ آه لو كانوا يعرفون الذي أعرف أنا ..

الرجـــل الأول : أتضحكين أيتها السيدة ، ونحن نبكي ؟

ضوء المكـــان : وأنتم . لماذا تفسدون علي لذة الضحك ، بهذا البكاء المزيف؟ لماذا؟

الرجـــل الأول : إن كنت لا تحترميننا نحن ، فاحترمي الموت على الأقل ..

بديع الزمـــان : الموت؟ هاها .. الموت هو .. لا الموت هي .. هل أقول لهم يا

ضوء المكان؟

ضوء المكـــان : لا تقل شيئاً ، وكل شيء بأوان ..

الرجـل الثاني : يا سيدتي . إن كنت تريدين أن نحترمك ، فاحترمي شعورنا ..

ضوء المكـــان : وكيف ، وشعوركم مزيف يا عباد الله ؟

الرجـــل الأول : ماذا ؟

ضوء المكـــان : مزيف .. ألا تسمع؟ والرجل المزيف موجود هنا بينكم ، ولكنكم لا تبصرون ولا تسمعون ..

بديع الزمـــان : آه لو كانوا يعرفون ما أعرف أنا .. هل أقول لهم يا ضوء المكان ؟

ضوء المكـــان : قلت لك لا تقل .. ألا تسمع ؟

سيف الرحمـن : هذه المرأة ليست إنسية .. وحق الله ليست إنسية .. هي جنية وابنة جنية .. لقدعرفتها ..

ضوء المكـــان : عرفتني؟ عجباً .. وبهذه السرعة ؟ عرفتني أنا ، ونسيت نفسك . أنا جنية ولكن أنت .. إن كنت شجاعاً فقل للناس من أنت ؟

سيف الرحمـن : أنا .. أنا ..

ضوء المكـــان : أنت أعمى ، والعمى ألوان شتى ..

سيف الرحمـن : نعم نعم . أنا هو ذاك الذي تقولين ، وإن كنت تعرفين يا سيدتي ، فلم تسألين؟

ضوء المكـــان : أنت أعمى وابن أعمى ، ومن قبيلة كلها عوران وحولان وعميان . أليس كذلك يا شيخ العربان ؟

سيف الرحمـن : ارحميني ، يا هذه المرأة ، وابتعدي عني .. ابتعدي ..

ضوء المكـــان : أعمى ، وتدعي بأنك رأيتني؟ رأيتني في قبرك أم في منامك؟ قل .. متى كان هذا يا شيخ البهتان ؟ متى؟ (يمسك بها ويقربها منه)

سيف الرحمـن : (بهمس) هل تريدين معرفة الحقيقة أيتها المرأة ؟

ضوء المكـــان : نعم .. ولا شيء إلا الحقيقة ..

سيف الرحمـن : (يهمس لها في أذنها) لقد رأيت الذي رأيت في المنام . استرحت الآن ؟ إذاً ابتعدي عني، ودعيني أشتغل .. ابتعدي أيتها المرأة وابحثي لك عن مكان غير هذا ، فمشعوذ ان اثنان

لا يجتمعان في مكان واحد ..

ضوء المكـــان : والله أيها الناس ، وبالله وتالله ، ما رأيت في حياتي كلها موقفاً يحرض على الضحك أحسن من هذا، إذاً اضحكوا.. ماذا تنتظرون؟ اضحكوا على مسؤوليتي ، وتأكدوا بأنه لا شيء يستحق كل هذا البكاء البليد .. يا شيخ العربان ، ماذا تنتظر ؟ قل لهؤلاء الناس أن يضحكوا . عرفهم بأسرار اللعبة . إذا عرفوها ، فإنهم لابد سيضحكون .. نعم . يضحكون كما أضحك أنا .. (تضحك .. لبديع الزمان) اضحك أنت أيضا .هذا أمر .. أمر (موتوي) لايناقش .. هل سمعت ؟ اضحكوا كلكم ..

بديع الزمـــان : (يضحك) مواهبك تفتحت كثيراً يا .. عدو الرحمن .. لم تقل لي ، من كتب لك هذا الدور ؟

سيف الرحمن : من كتبه ؟ كتبه علي رب العرش العظيم ..

بديع الزمـــان : ماذا أقول فيك يا ابن الجنية ؟ والله يليق بك دور الميت.. يا سبحان الله . تفشل في دور الأحياء ، وتنجح في دور الأموات..

سيف الرحمن : إيه .. من يكون هذا الغريب الذي يكلمني ؟ يظهر أن المكان قد امتلأ بالدجالين والمشعوذين ..

بديع الزمـــان : المساكين . إنهم لا يعرفون ما أعرف أنا .. يقولون ما يقولون وهم يجهلون كل شيء . آه لو كانوا يعرفون . حقاً . الجهل نعمة الجهلاء، والعلم محنة العلماء..

سيف الرحمن : هذه المرأة أيها الناس أفسدت علينا حزننا الجميل ..

الرجـــل الأول : إنها امرأة ملعونة ، ولابد لها من عقاب ..

سيف الرحمن : نعم، ولا تنسوا في العقاب صاحبها هذا.. (وهو يدفع بديع الزمان بعكازه) إنه ملعون أيضاً ..

الرجـل الثاني : أخرجوها إلى الخارج ، واشبعوها ضرباً ..

سيف الرحمن : حتى هذا النمس، اضربوه فهو رأس البلاء .. اضربوه بالعصا هكذا .. (يضربه بعكازه)

بديع الزمـــان : ماذا تفعل يا ملعون؟ أتريد أن تموت حقاً هذه المرة ؟

سيف الرحمن : أخرجوهما .. إلى أين أنت ذاهب بهما ؟ (للرجل الأول)

الباب من هنا . ألاتراه يا أعمى ؟

بديع الزمـــان : انتظروا .. انتظروا قبل فوات الأوان .. انتظروا وإلا ..

الرجـــل الأول : وإلا ؟ هل سمعتم؟ لقد قال وإلا ..

الرجـل الثاني : نعم ، وأظنه بهذا يتهددنا .. يتهددنا ونحن عصبة ..

الرجـــل الأول : انتظر يا صاحبي .. لم تقل لنا، وإلا ماذا سوف يكون ؟

بديع الزمـــان : وإلا .. وإلا أصبحتم على ما فعلتم نادمين .. ينبغي أن تعرفوا كلكم بأنكم أمام شخصيتين غير طبيعيتين ..

الرجـــل الأول : آه .. في هذه أنت على حق، وهل هناك شخص طبيعي يضحك في مأتم؟ طردوهما حالاً (يحملهما الناس بعنف ويخرجون بهما .. يفتح سيف الرحمن عينيه في حذر .. يتأمل المشهد في فرح وهو يكتم ضحكه)

سيف الرحمـن : اضربوهما ..اضربوهما بشدة، حتى يكونا عبرة لكل الناس (يأتي صراخ من الكواليس وضجيج وأشياء تتكسر)

17 - حتى الموت يطرد ويشرد ؟

(ضوء المكان وبديع الزمان وهما يتوجعان من شدة الألم)

بديع الزمـــان : آه .. ضلوعي ..

ضوء المكـــان : آه . ضلوعي العزيزة . ماذا فعلوا فيك ؟

بديع الزمـــان : عجباً . أنت يا ضوء المكان ، لماذا تقولين آه ؟

ضوء المكـــان : لماذا ؟ وأنت .. لماذا تقول آه ضلوعي ؟

بديع الزمـــان : أنا أقولها لأنني أتألم ، فأنا من لحم ودم ، ولي ضلوع في صدري قابلة للكسر ،وما أظنها إلا تكسرت يا ضوء المكان..

ضوء المكـــان : وأنا أيضاً مثلك يا بديع الزمان ..

بديع الزمـــان : غير ممكن .. أنت مثلي ؟

ضوء المكـــان : وإنني ،كما ترى ، وتسمع يا بديع الزمان . أتألم مثلك ، أو ربما أكثر منك ، فأنا امرأة ضعيفة ، وإنني أقول آه وآه .. يا عيني .. (تقول آه وكأنها موال غنائي) آه .. ما أقسى الناس في دنيا الناس . ما أقساكم يا أولاد الحرام ..

بديع الزمـــان : يا رب العالمين ، ما هذا الذي أسمع ؟ أنا من حقي أن أتألم يا ضوء المكان لأنني .. لأنني إنسي أما أنت فلا وألف لا .. هل نسيت يا مولاتي من أنت ؟ أنت الموت الجبار، وأنت الحتف القهار . أنت .. أنت ..

ضوء المكـــان : يا بديع الزمان . لقد تغير الزمان، وأصبح حتى الموت يضرب ويقهر . أنا .. ضربوني أكثر منك . لا تنس هذا، ثم أيضاً ، أنت رجل، وتقدر أن تحتمل، وما أنا إلا حرمة .. حرمة بلا حول ولا قوة .. نعم، الموت يتألم ، وقد يبكي أيضاً ، وها أنت ترى بعينيك كل شيء . هل معك منديل يا بديع الزمان؟

بديع الزمـــان : ماذا ؟ تريدين منديلاً يا ضوء المكان ؟

ضوء المكـــان : نعم، أريد أن أجفف دمعي . انظر يا بديع الزمان، وكن من الشاهدين . هذه عيون الموت تتفجر ماء مالحاً . هذا شيء لم يحدث في التاريخ أبداً ، ولاحدث قبل التاريخ أيضاً .. قبح الله صاحبك اللعين . ماذا قلت لي عن اسمه ؟

بديع الزمـــان : اسمه .. سيف الرحمن (تخرج ضوء المكان مذكرة صغيرة وتسجل)

ضوء المكـــان : سيف الرحمن .. سيف ، بالسين أو بالصاد يا بديع الزمان؟

بديع الزمـــان : أنا كنت أعرفه بالسين، وسبحان مبدل الحروف ..

ضوء المكـــان : الآن يا بديع الزمان، يمكنك أن تقرأ الفاتحة على صاحبك . لقد وضعت اسمه في قائمة الوفيات المستعجلة ..

بديع الزمـــان : يا ويلي .. صاحبي مات؟

ضوء المكـــان : ليس بعد، ولكنني سأتوفاه في أقرب فرصة، سأجعل يومه يوماً مشهوداً ، وأجعل موته فرجة للمتفرجين ، وحديثه تسلية للفضوليين والنمامين ..

بديع الزمـــان : مرة أخرى أعترف، بأنني لا أفهمك يا ضوء المكان، أنت الموت ، ومع ذلك تركت أولاد الكلب (يتكرفسون) علينا. لقد كان عليك أن تقتليهم كلهم، بدءاً من صاحبي رأس الثعبان ، أو شيخ العربان ..

ضوء المكـــان : نعم ولكنني لم أفعل . هل تعرف لماذا ؟ لأن أرواحهم عندئذ لم تكن حاضرة .. لقد كانوا جثثاً تتحرك ..

بديع الزمـــان : إنني أقول ، إنه كان يمكن ، مثلاً وهذا مجرد اقتراح فقط أن تدسي لهم السم في الطعام أو الشراب ..

ضوء المكـــان : آه، هي فكرة على كل حال؛ فكرة لا بأس بها .. هل لديك غيرها ؟

بديع الزمـــان : أو أن تجعلي البيت ينهار على من فيه ..

ضوء المكـــان : على من فيه . ؟ هل نسيت يا بديع الزمان أننا نحن أيضاً كنا فيه ؟ أنت وأنا .. وهل كنت تريدنا أن نموت نحن أيضاً ؟

بديع الزمـــان : لا لا .. لا تفهميني خطأ أرجوك ..

ضوء المكـــان : ما أبلدك يا بديع الزمان ، وما أبلد هذا الزمن الذي أبدعك. أنت تعاني فقراً في الخيال ..

بديع الزمـــان : أنا ؟ أما أنت يا ضوء المكان .. أنت شخصية غريبة .. شخصية غير واضحة ولا مفهومة ..

ضوء المكـــان : أنا ؟

بديع الزمـــان : نعم أنت، كيف يمكن أن تكوني الموت ، وأن تُضربي حتى الموت ، وألا تفعلي شيئاً ؟ كيف ؟ أريد أن أعرف . هذا من حقي ..

ضوء المكـــان : يا بديع الزمان لا تستغرب ، فكل شيء في دنياكم جائز وممكن . نعم، كل شيء.. ممكن جداً أن يضرب الموت، وأن يعتقل أيضاً ، وأن ينفى، وأن يطرد من المسرح ، مثلك تماماً، ومثل صاحبك الكذاب، وأن يبقى عاطلاً مشرداً ..

بديع الزمـــان : الموت يطرد؟ ويشرد ؟ ماذا تقولين يا ضوء المكان؟

ضوء المكـــان : وقد يحدث أن يجوع أيضاً، تماماً كما تجوع أنت ، ويجوع كل الناس

بديع الزمـــان : آه ، وإنني الآن جائع فعلاً . جائع يا ضوء المكان

ضوء المكـــان : وأنا أيضاً جائعة ..

بديع الزمـــان : ماذا ؟

ضوء المكـــان : قل يا بديع الزمان .. أليس معك شيء من المال؟ إنني أريد أن أشتري لك شيئاً يؤكل، وشيئاً يشرب، وشيئاً يدخن .. إنه لابد أن نحتفل بصداقتنا .. أليس كذلك يا صاحبي؟

بديع الزمـــان : صاحبي؟

ضوء المكـــان : إن هذا اليوم لا يشبه الأيام .. إنه يوم تاريخي ..

بديع الزمـــان : يا رب العالمين ما هذا الذي أسمع ؟ أنا صاحب الموت ، وهذه الموت تريد أن تأكل ..

ضوء المكـــان : إكراماً لك فقط ، سوف آكل ..

بديع الزمـــان : إكراماً لي ؟

ضوء المكـــان : نعم . فأنا في العادة لا آكل .. والموتى لا يأكلون، ولكن ، ما دمت معك فإنني مستعدة لأن أشاركك الطعام والشراب . ألم تسمع الناس يتحدثون عن أخوة الطعام والملح . لاشك أنك سمعت بهذا، و إنني أريد أن نشترك في الطعام، وأن نأكل من مائدة واحدة ، حتى تكون أخي ، وأكون أختك ، فما رأيك ؟

بديع الزمـــان : أكون أخاً للموت؟ فكرة لا بأس بها، وماذا يمكن أن أستفيد من هذه الأخوة يا ضوء المكان ؟

ضوء المكـــان : تستفيد كل شيء .. مثلاً .. أن تموت كما تريد، وفي الوقت الذي تريد، وبالسيناريو الذي تريد . اقترح أنت نهايتك ، وأنا أكتبها لك بماء الذهب .. أكتبها لك بدقة، وأمثلها معك بدقة، وأمشيها معك برفق ، وأخرجها لك في أبهى صورة ممكنة .. سأخصك وحدك من دون كل الناس بالامتيازات العجيبة والغريبة والمدهشة . سأعطيك الذي لم يحصل عليه القواد والأمراء والأغنياء وأهل الجاه والسلطان .. لن يشبهك في الناس أحد، ولن تشبه أحداً منهم، حتى الرسل والأنبياء والأولياء المساكين، ما عرفوا موتك نفسه.. قل لي أولاً ، هل معك سيجارة ؟ إن كانت من التبغ الرديء فلا تهتم ..

بديع الزمـــان : سيجارة ؟. سيجارة لمن ؟

ضوء المكـــان : لمن ؟ لي أنا ..

بديع الزمـــان : و .. ماذا تفعلين بها يا ضوء المكان ؟

ضوء المكـــان : ماذا أفعل بها ؟ أدخنها طبعاً ..

بديع الزمـــان : عجباً ؟ الموت تدخن أيضاً ؟

ضوء المكـــان : نعم تدخن . هات سيجارة ، وسوف ترى .. سترى العجب العجيب والمدهش الغريب ..

بديع الزمـــان : (يكلم نفسه) هذا الكلام سمعته من قبل . سمعته أو قرأته؟ لست أذكر هوحوار في مسرحية . نعم ، هو كذلك ..

ضوء المكـــان : صدقت يا بديع الزمان .. هو حوار في مسرحية ، وأنا صاحبة تلك المسرحية ، وربة كل مسرحية . إن كل المسرحيات التي تعرف والتي لا تعرف أيضاً أنا وحدي التي كتبتها ..

بديع الزمـــان : (وهو يحاول أن يتذكر) يا إلهي . كل هذا الكلام سبق وسمعته أو قرأته ، ولكن، أين ؟ أين؟ ومتى ؟ متى؟ حاول أن تتذكر يا بديع الزمان .. حاول، وقل أين ؟ ومتى؟

(يدخل سيف الرحمن، وقد تخلص من عماه الإرادي ومن زيه التاريخي)

18 - أنت الموت وأنا قاتل الموت ..

سيف الرحمن : لا تتعب نفسك يا بديع الزمان ، فلن تعرف شيئاً ..
بديع الزمـــان : من ؟
ضوء المكـــان : أهذا أنت ؟
سيف الرحمن : نعم أنا ، وأظن أنني قد جئت في الوقت المناسب، أليس كذلك ؟
ضوء المكـــان : تماماً . تماماً يا .. ذكرني باسمه .. (لبديع الزمان)
بديع الزمـــان : اسمه سيف الرحمن ..
ضوء المكـــان : إيه .. ماذا تنتظر ؟ امسك لي هذا الرجل جيداً .. امسكه جيداً يا بديع الزمان .. أولا .. جرده من سيفه الذي معه ، وأنا أتوفاه لك حالاً حالاً .. (يجريان خلفه للإمساك به)
سيف الرحمن : انتظر يا بديع الزمان . وأنت أيضاً .. انتظري قليلاً أيتها المجنونة .. لقد فهمتماني خطأ ..
ضوء المكـــان : (وهي تمسك به) أخيراً وقعت بين يدي أيها القنفذ الأملس ..
سيف الرحمن : أنا .. اسمي سيف الرحمن ..
ضوء المكـــان : اسمك أحسن منك يا عدو الرحمن ..
سيف الرحمن : إنني لا أسمح ..
ضوء المكـــان : وأنا أيضاً لا أسمح . لم تقل لنا يا .. شيخ العربان . عمامتك العجيبة أين هي الآن ؟
بديع الزمـــان : أين هي؟ تركها في العصر الجاهلي بلا شك .. تركها وديعة عند أبي شيبان الخزعي، فما أسعد الرجل وذريته بها .. إنها عمامة مباركة ..
ضوء المكـــان : أنت رأيت الموت أيها الدجال ؟ تكلم ..
بديع الزمـــان : يا ضوء المكان، رفقاً بالرجل .. ألا ترين بأنه أعمى؟
سيف الرحمن : (مصححاً) كان أعمى .. ألا تعرفان ؟ لقد تاب الله علي ..
بديع الزمـــان : غير ممكن ..
سيف الرحمن : أنا لم أعد أعمى، وحق الله . انظر يا بديع الزمان .. إنني أراك، وأرى هذه المرأة المحتالة، وأرى كل التافهين والحشاشين والدجالين من أصحابنا ..

بديع الزمــــان : الله أكبر . حقاً أنت رجل مبارك ..

سيف الرحمن : فتح الله علي وأبصرت . قولا معي سبحان الله . سبحان الله.. يحيي يميت، وهو على كل شيء قدير . الله الله .. ما تزال في الدنيا المعجزات يا صاحبي ..

ضوء المكــــان : هي فعلاً معجزة .. معجزة ربانية يا .. مرة أخرى ذكرني باسمه ..

بديع الزمــــان : سيف الرحمن ..

سيف الرحمن : (مكملاً) بن حبيب الله بن جار الله ..

ضوء المكــــان : هي معجزة واحدة .. واحدة يا ابن حبيب الله، ومازالت تنتظرك معجزات ومعجزات .. ستعود بقدرة لا إله إلا الله أعمى كما كنت، ومن يدري، فقد تصبح أبكم وأبكم وأعرج وأكتع، وقد تنزل عليك النقطة، وربما الفاصلة كذلك، وتصبح مقعداً ... تجلس على قارعة الطريق، وتقول .. لله يا محسنين ..

بديع الزمــــان : إن كان الأمر هكذا ، فمن الأحسن أن تقتليه يا ضوء المكان.. الموت أرحم يا سيف الرحمن، أليس كذلك يا صاحبي؟

ضوء المكــــان : هل معك آلة حادة يا بديع الزمان ؟ مسمار أو سكين أو مقص أو رمح أو سيف أو وتد؟ المهم أي شيء .. أي شيء يمكن أن يحدث ثقباً عميقاً في الرأس أو في العين ..

بديع الزمــــان : معي هذه المطرقة الصغيرة، هل تنفع ؟ (يخرج من جيبه مطرقة كبيرة جداً)

ضوء المكــــان : تنفع . امسك معي هذا البغل .. امسكه جيداً ، فهو قوي كالثور ..

بديع الزمــــان : قوي ؟ هاها . ولكنه لا يمكن أن يكون أقوى منك . إنه لا أحد أقوى من الموت إلا الموت (لسيف الرحمن) أتتك الموت يا تارك الصلاة ..

ضوء المكــــان : (تهمس في أذنه) يا بديع الزمان .. ما هذا الذي تقول ؟ أنا الموت حقاً ولكن ..

بديع الزمــــان : ولكن ماذا ؟

ضوء المكــــان : ماذا أقول لك؟ لا تنس بأنني حرمة .. حرمة ضعيفة .. لا

حول لي ولا قوة،. ليس لها من سلاح إلا عيونها ورموشها ودموعها ..

سيف الرحمن : ابتعدا عني . دع أنت يدي أيها المجنون .. دعها قلت لك . إنك تؤلمني أيها (الحلوف) سأصرخ عالياً .. يا ..

ضوء المكـــان : أصرخ .. أصرخ كما تشاء ، فلن يسمعك أحد ..

بديع الزمـــان : لا فائدة .. لا فائدة من المقاومة يا سيف الرحمن، فهذه الساعة هي ساعتك ، فاقرأ القرآن، واستعد لأن تصعد إلى السماء ..

سيف الرحمن : ابتعدي عني . ابتعدي أيتها المجنونة ..

بديع الزمـــان : يا ويلي .. هل سمعتم؟ لقد قال لها المجنونة «صافي» قضي الأمر يا سيف الرحمن .. أسفي عليك وعلى شبابك اداك الواد يا مسكين، وأصبحت من القوم الخاسرين ..

سيف الرحمن : ماذا تقول يا بديع الزمان ؟ أراك تهذي ..

بديع الزمـــان : أنا؟ سامحك الله . يظهر أنك يا مسكين لا تعرف من تكون هذه المرأة..

ضوء المكـــان : يا بديع الزمان . لا تقل شيئاً ..

بديع الزمـــان : كيف لا أقول ؟ وحق اللات والعزى ومولاي بوعزة لابد أن أقول .. هذه المرأة أيها الغافل هي ..

ضوء المكـــان : قلت لك اسكت ..

بديع الزمـــان : هي .. هي الموت ..

سيف الرحمن : ماذا قلت ؟

بديع الزمـــان : الموت .. نعم . الموت . ألا تسمع ؟

سيف الرحمن : هي الموت ؟ (تنتابه نوبة ضحك) ضوء المكان هي الموت؟ وصدقتها ؟(يضحك) ما أغباك يا صاحبي ..

بديع الزمـــان : ولم لا أصدقها ؟ لقد التقيت بها هذه الليلة، وأصبحنا أصدقاء ..

سيف الرحمن : أصدقاء ؟ أنت والموت ؟ هئ هئ ..

بديع الزمـــان : لقد أطلعتني على أسرار عجيبة ..

سيف الرحمن : يا بديع الزمان .. هذه المرأة ليست الموت .. إنها إنسية، مثلي ومثلك ومثل كل أبناء البشر ... إنسية قلت لك، وهي تشتغل

بالتأليف المسرحي ..

بديع الزمـــان : أعرف .. أعرف .. هي الموت الذي يؤلف ..

سيف الرحمن : لا لا .. ما هي إلا مؤلفة فاشلة . مؤلفة تمشي دائماً وفي يدها حقيبة، وفي الحقيبة نصوص مسرحية، وحتى الآن لم تجد مسرحاً، ولم تجد مخرجاً، ولم تجد ممثلاً، ولم تجد جمهوراً ..

ضوء المكـــان : ها ها .. كان ذلك قديماً، في سالف العصر والأوان، أما الآن فقد وجدت..

سيف الرحمن : وجدت ؟ ماذا وجدت ؟

ضوء المكـــان : وجدت ممثلاً مجنوناً ، وهو أنت ..

سيف الرحمن : أنا ؟

ضوء المكـــان : ووجدت مخرجاً عبقرياً، وهو أخي وصديقي بديع الزمان ..

بديع الزمـــان : يا إلهي . ما هذا الذي أسمع ؟ أنت مؤلفة ؟ مؤلفة فقط ؟

ضوء المكـــان : نعم .. (بلهجة حزينة) مؤلفة فاشلة ، هكذا أنا وهكذا قال الناس عني

بديع الزمـــان : أنت فاشلة؟ غير ممكن، بل أنت مؤلفة بارعة وعظيمة .. أنت أكبر بنت حرام في الدنيا ..

ضوء المكـــان : (في خجل مفتعل) شكراً .. شكراً ..

بديع الزمـــان : أنت .. أنت أخطر مزورة شاهدتها البشرية ..

ضوء المكـــان : أكرمك الله يا بديع الزمان ..

بديع الزمـــان : أنت أعجوبـــة الأعاجيب ومصيبـــة المصائب، وأكذوبة الأكاذيب ..

ضوء المكـــان : لا .. هذا كثير علي . لقد أخجلت تواضعي يا بديع الزمان ..

بديع الزمـــان : لا .. أرجوك . لا تتواضعي .. هل نسيت من أنت؟ أنت الموت الجبار .. الموت الذي يفرق الأحباب، ويخرب الديار ..

ضوء المكـــان : آه .. كلنا نحمل موتنا داخلنا، وسبحان الحي القيوم، الذي لا تأخذه سنة ولا نوم ..

بديع الزمـــان : ها ها .. إذاً ، أنت هي مولاتنا الموت؟ الموت الذي يقتل يا ضوء المكان ؟

ضوء المكـــان : كنت .. رحم الله طيش الشباب وهلوسات الشباب . غفر الله

لي ولك ولجميع المذنبين ..

بديع الزمـــان : ولكن أنا ، هل تعرفين من أكون؟ تكلمي .. قولي .. من أكون أنا ؟

ضوء المكـــان : أنت ؟ أنت صديق الموت، سابقاً .. (تضحك)

بديع الزمـــان : لا ..

ضوء المكـــان : وحبيب الموت، لاحقاً ..

بديع الزمـــان : أبداً ..

ضوء المكـــان : أنت بديع الزمان الذي لم تجد بمثله الأزمان ..

بديع الزمـــان : لا . بل أنا قاتل الموت .. (يمسكها من عنقها) سأقتلك أيتها المجنونة

ضوء المكـــان : دع عنقي .. ستقتلني أيها البغل ..

بديع الزمـــان : سأقتلك، وأقتل نفسي .. أقتل فيك الغدر والخيانة يا ديدمونة الملعونة .. لقد خدعتني .. اشهدي يا ملائكة الرحمن .. لقد خدعتني امرأة .. خدعتني ... (يتركها وهو يبكي)

سيف الرحمن : لا تبتئس يا بديع الزمان، ففي جميع الأحوال لا يمكن أن تخدعنا إلا امرأة ..امرأة لا حول لها ولا قوة، ولكنها تقدر على كل شيء ..

ضوء المكـــان : وأنت .. ألم تخدع الناس يا ولد الحرام؟ أنت رأيت الموت؟ أنت؟ ومتى؟

سيف الرحمن : متى ؟ بعد عمر طويل إن شاء الله .. (يضحكون)

بديع الزمـــان : يا عدو الرحمن .. تمثل على الناس في دنيا الناس ، ومع ذلك تزعم، أنك اعتزلت التمثيل، وهجرته، وطلقته بالثلاث.. كيف ذلك؟

سيف الرحمن : أنا اعتزلت التمثيل ؟ ها ها .. إنه لا أحد يعتزل التمثيل إلا في حضورسيدنا ومولانا عزرائيل .. (وهو ينظر إلى ضوء المكان) عزرائيل الحقيقي وليس المزيف، أو المزيفة.. (يضحكون .. يدخل موهوب، صاعداً الخشبة من عند الجمهور)

19 - نهايات مقترحـة ..

موهـــــــــوب : (ينخرط معهم في الضحك) يا أولاد الأبالسة ..

بديع الزمـــان : من .. أنت ؟

موهـــــــــوب : آه .. كل هذا العجب يخرج منكم؟ والله لا أصدق .. منكم أنتم؟

ضوء المكـــان : أظن أنه لا داعي للتقديم ، فأنتما تعرفانه بلا شك .. أليس كذلك ؟

سيف الرحمـن : أنا شخصياً، لا أعرف أحداً أحسن منه .. إنه المدير الذي طردني، وشردني..

موهـــــــــوب : كان خطأ يا سيف الرحمن، وكان حمقاً وجنوناً .. اللعنة علي وعلى والدي .. بديع الزمان هذا الرجل موهوب، واسمه موهوب، وهو مختص في طرد المواهب وفي طرد العباقرة إلى جزر النسيان ..

موهـــــــــوب : أنا الآن موهوب آخر، غير ذلك الذي تعرفون .. ينبغي أن تعرفوا كلكم أن مسرحيتكم هذه ، كانت رائعة ومثيرة ومدهشة ..

سيف الرحمـن : مسرحيتنا؟ أية مسرحية ؟

موهـــــــــوب : أية مسرحية؟ هكذا هو سيف الرحمن دائماً .. إنه ينسى نفسه وحواره، وينسى من معه، ورغم كل هذا، فأنت ممثل خطير .. لقد كنت رائعاً في دورك .. دور الميت الذي لم يمت..

سيف الرحمـن : لقد فهمتنا خطأ يا موهوب ، فهذه ليست مسرحية ..

موهـــــــــوب : ليست مسرحية ؟

سيف الرحمـن : نعم . ونحن لم نكن نمثل ..

ضوء المكـــان : لا . في هذه أخطأت يا سيف الرحمن، لأن كل ما فعلناه وقلناه وعشناه مكتوب هنا .. (مشيرة إلى كتاب بيدها) وحتى هذا الكلام الذي تقول الآن مكتوب هنا ، وما العمر وما الحياة إلا مسرحية ، أو مسرحيات .. أخبروني . أخبروني كلكم . هل تؤمنون بالمكتوب؟

بديع الزمـــان : أنا شخصياً، يا ضوء المكان، أؤمن به، وأؤمن بجده وجد جده .. المكتوب شيء حقيقي، والدليل على ذلك فقري ..

موهـــــــوب : فقرك؟

بديع الزمـــان : فقري وبؤسي وسوء حالي ، ولولا هذا المكتوب لكنت من أغنى الأغنياء ومن أسعد العداء .. يا أيها الكتبة سواء كنتم في الأرض أو في السماء

ضوء المكـــان : ماذا تريد منا يا بديع الزمان؟

بديع الزمـــان : أريد أن تكتبوا لنا وعلينا شيئاً يرضينا، ويسلينا، ويبعد الهم والغم والبلاء عنا ..

موهـــــــوب : أما أنا فأقول، إنني أعجبت بهذا المكتوب .. أعجبت به وبكم، وإنني أنوي أن أقدمكم في مسرحي، فما رأيكم ؟

ضوء المكـــان : إنه يريد أن يقدم مسرحيتنا .. هل سمعتم؟ يا أيها المدير الموهوب، ينبغي أن تعرف شيئاً ، وهو أن مسرحيتنا لا تزال بلا نهاية ..

موهـــــــوب : الأمر سهل .. نعطيها نهاية ..

بديع الزمـــان : أنا لدي نهاية جاهزة . نهاية قوية ومثيرة ومأساوية ..

سيف الرحمن : مأساوية؟ يعني فيها بلاء وشقاء وموت حقيقي؟

بديع الزمـــان : نهاية يا عباد الله ، ستهز الجمهور هزاً، وتبز أكبر الكتاب بزاً ..

موهـــــــوب : بزاً ؟ قلت بزاً ؟ وما معنى هذه ال .. بزاً ؟

سيف الرحمن : إنه يشتمنا بلا شك يا موهوب ..

بديع الزمـــان : أبداً، وإنما أنا أرفع من شأنكم ومن فنكم ومن علمكم ..

موهـــــــوب : سبحان الله .. سبحان الذي حول الجهل علماً ، وجعل بزاً ترفع شأناً ..

بديع الزمـــان : إنني أقترح أن يغضب بديع الزمان ..

سيف الرحمن : اقتراح لا بأس به ..

بديع الزمـــان : وأن يثور لكرامته المرغة في الوحل ..

ضوء المكـــان : يهديك الله .. أية كرامة تقصد؟

بديع الزمـــان : وأن ألتقي بهذه المرأة الخائنة، وجهاً لوجهه ، وأن أقول لها ، اليوم أقتل الموت وترتاح البشرية ..

ضوء المكـــان : مثل هذا الكلام التافه ، لا يمكن أن تكتبه ضوء المكان ..
بديع الزمـــان : حقاً ؟ أما أنا فيمكن أن أمثله، وأن أقوله .. (وهو يقف وجهاً لوجه أمام ضوء المكان) أما بالنسبة لكما ، فيمكنكما الانصراف..(لموهوب وسيف الرحمن) لأنه لا أحد هنا.. إلا أنت وأنا .. سأقترب منك خطوة ثم خطوة أخرى .. موسيقا.. ماذا تنتظرون؟ أعطوني موسيقا عنيفة ومخيفة.. (موسيقا) إيه . لماذا تنظرين إلي هكذا؟ ألا تعرفين أنني سأقتلك؟ نعم .. سأقتل الموت التي تقتل .. خافي .. قلت لك خافي .. ألا تسمعين ؟ سأخرج المنديل من جيبي لأخنقك .. (يفتش في جيوبه عن منديل فلا يجده) مَنْ عنده منديل؟ أريد منديلاً حالاً ..
موهـــــــــوب : لدي (كلينكس).. منديل من ورق.. هل ينفع ؟
بديع الزمـــان : لا ينفع ..
ضوء المكـــان : يا بديع الزمان ... إنه لا يعقل أن أكتب عني مثل هذا الكلام ..
سيف الرحمن : ها ها . لا تكتبين عنك، ولكنك تكتبين عن غيرك . تكتبين عني أنا مثلاً فتموت أمي، وتموت زوجتي، ويموت أولادي ، وتبعثين بي إلى بلاد الغربة . نت قتلتني ، وقتلت أولادي . قتلت الجميع يا عدوة الجميع بجرة قلم ..
ضوء المكـــان : لا . أنا لم أكتب هذا . صدقني ..
موهـــــــــوب : يا أيها الناس . افهموني قليلاً . هذه نهاية سوداء .. سوداء تماماً، وأنا أريد نهاية رمادية ..
ضوء المكـــان : آه .. موهوب يريد نهاية أخرى . وماذا تقترح يا سيدي المدير؟
موهـــــــــوب : أقترح أن تظلوا هكذا، تتسكعون في ظلمات الليل .. ترتكبون الحماقات بعد الحماقات، إلى أن نسمع صوتاً (يسمع صوت سيارة البوليس)
سيف الرحمن : ما هذا يا موهوب ؟
موهـــــــــوب : إنها دورية الشرطة يا أولاد الحلال .. (يضحك)
بديع الزمـــان : فعلتها يا رأس (الحلوف) بلغت عنا ..
موهـــــــــوب : أبداً، وإنما هي العيون التي رأتكم .. العيون المبثوثة في كل

مكان .. (يقفون وراء قضبان حديدية وكأنهم في مركز للبوليس)

بديع الزمـــان : (بأعلى صوته) بريء .. بريء أنا، وحق اللات والعزى ومولاي بوعزة .. بريء..

ضوء المكـــان : أنا أيضاً بريئة، ومظلومة ..

سيف الرحمن : حتى أنا بريء .. بريء أنا، والحشاش الحقيقي هو هذا (مشيراً إلى بديع الزمان)

بديع الزمـــان : بل هو أنت .. أنت الذي أغريتني، وأغويتني، وزينت لي سوء أعمالي، يا ولد الحرام ..

الجميــــــــع : بريء .. وحق الله بريء.. بريء .. بريء ..

موهـــــــــوب : الصمت .. ثم أخرج أنا ، وأتقدم إلى الجمهور ، وأقول ، أيها الناس ، هذه هي عاقبة الحشيش ، وألتفت إليكم ، وأقول، تبكون ؟ الآن فقط تبكون ؟ ومتى؟ بعد خراب البصرة؟ وتنزل الستارة ..

ضوء المكـــان : لعنة الله عليك وعلى نهايتك .. أنت موهوب .. أنت ؟ ومن أين أتتك الموهبة أيها المتخلف؟ من أين؟

سيف الرحمن : من السوق السوداء .. ها ها .. (يضحكون)

موهـــــــــوب : هيه ،وماذا بها هذه النهاية؟ أليست نهاية معقولة ومنطقية؟ ثم إنها أيضاً، تحمل رسالة أخلاقية عالية .. رسالة نبعثها للعالم والجاهل، وللكبير والصغير، وللقارئ و(اللي ما قاريش)

بديع الزمـــان : أنت ما علاقتك بالإبداع ، حتى تقترح أو لا تقترح ؟ اهتم بأموالك فقط وعندما نقول لك هات، هات . إذن انكمش .. انكمش .. ألا تسمع ؟ أما النهاية فسنأخذها من مصدرها .. من الكاتبة ضوء المكان ..

ضوء المكـــان : نعم . والله هذا كلام العقل والعقلاء .. النهاية من عندك أنت يا ضوء المكان.. أين أنت يا ضوء المكان ؟

سيف الرحمن : ماذا تقولين؟ ضوء المكان هي أنت ..

ضوء المكـــان : حقا؟ والله نسيت هذا .. إذن استعدوا للنهاية الحقيقية.. غيروا هذه الملابس، وتعالوا إلي .. (يأخذون في تغيير الملابس)

20 - نهاية وردية لمسرحية سوداء ..

ضوء المكـــان : تعالوا. اقتربوا واسمعوا .. إن النهاية الحقيقية والرسمية لهذه المسرحية ليست سوداء ولا بيضاء ولا رمادية .. إنها وردية ..

بديع الزمـــان : وردية ؟ ماذا تقولين ؟

ضوء المكـــان : افهموني .. إن النهاية الوردية هي وحدها التي يعشقها الناس ، ويرتاحون لها .. نهاية حية ومفتوحة، فيها رقص وغناء، وفيها طبول ودفوف وتمر وحليب، وفيها زغاريد مبحوحة وراقصة عمياء وعرجاء ..

بديع الزمـــان : عجباً .. ضوء المكان، والتي هي الموت سابقاً ، تقول هذا؟

ضوء المكـــان : يا بديع الزمان .. الموت يأتي من بعد . ألا تفهم ؟ بعد الحياة وليس قبلها . فلنفرح أولاً ، حتى يكون للمأساة معناها ، ويكون لها وقعها ..

بديع الزمـــان : نعم .. وهذه النهاية الوردية ، ماذا يمكن أن يكون فيها ؟

ضوء المكـــان : سيكون فيها إن شاء الله عرس الأعراس ..

بديع الزمـــان : عرس ؟

ضوء المكـــان : نعم.. عرس يلتقي فيه المحبان ، وتموت فيه الأحزان والأشجان ..

بديع الزمـــان : ها ها .. وأين هما المحبان الحقيقيان في هذا الزمان؟ أين؟

ضوء المكـــان : إنهما هنا .. أنت وأنا .. هل نسيت بأنك وعدتني بالزواج أيها الغشاش ؟

بديع الزمـــان : أنا ؟

موهـــــــــوب : هذه نهاية ، أراها أنا معقولة ، و مربحة أيضاً ..

بديع الزمـــان : مربحة ؟

موهـــــــــوب : مادياً ومعنوياً ، وآنياً ومستقبلياً ، ومن كل النواحي .. وإذا وافقتم على هذه النهاية فأنا شخصياً لا مانع لدي .. يمكنكم أن تصادقوا عليها بالتصفيق .. (يصفقون، إلا بديع الزمان)

سيف الرحمن : رائع .. رائع جداً .. إذاً فقد تزوجتما بطريقة شرعية وديموقراطية وبغلبة الأصوات ..

بديع الزمـــان : ديموقراطية ؟ سبحان الله . أية ديموقراطية يا سيف الرحمن؟

موهـــــــــوب : الديموقراطية على الطريقة العربية ، لا أراكم الله مكروهاً.. (يضحكون)

بديع الزمـــان : أنا ؟ أنا أتزوج الموت ؟ ولماذا؟ أأكون أحمق أو.. أحمق ؟

ضوء المكـــان : أنا لست الموت، وما أنا إلا امرأة مثل كل النساء، وحسناء من بين كل الحسان. أما اسمي، فهو ضوء المكان، وأنا فعلاً إن كنت لا تعرف هذا ضوء هذا المكان ، وكل مكان ..

بديع الزمـــان : ها .. ومتى كان في القبر ضوء ؟ ها هو سيف الرحمن أمامكم فاسألوه ، اسألوه ، يخبركم عن فظاعة الموت ، وعن هول الموت .. (يبكي، بينما يضحك الآخرون)

سيف الرحمن : قل يا بديع الزمان .. هل تحسن الغناء؟

بديع الزمـــان : ها .. إنني ..

موهـــــــــوب : هل سمعتم ؟ لقد قال إنني .. أحسن الغناء ..

سيف الرحمن : ولو أنه لا يصح أن يقال للمغني غني، فإنني أخالف المألوف، وأقول لك غن.. غن معنا يا بديع الزمان ويا تحفة العصر والأوان..

موهـــــــــوب : وقل أيضاً .. هل تعرف أن ترقص ؟ ترقص هكذا ، فتهز وسطك هزاً وتلوز (تلويزاً)؟

بديع الزمـــان : أنا ؟

سيف الرحمن : رائع .. لقد قال أنا .. يعني، أنا أعرف .. إذاً ارقص .. ماذا تنتظر يا بديع الزمان؟ ارقص مع الراقصين، وحلق مع المحلقين .. ملعون كل من يحسن الغناء ، ولا يغني . وملعون كل من يعرف الرقص ولا يرقص ، و كل من يقدر أن يطير ولا يطير .. غن معنا ، فهذه الدنيا كلها الآن لنا ، وغداً ؟ غداً ستكون لغيرنا ..

(يعزفون على أدوات المطبخ ، وهم يزفون العروسين)

المجمـوعـــــــة : (تغني) إتحششي يا حلوه يا زينة يا وردة جوا جنينة

بديع الزمـــان : يا ضوء المكان. افعلي شيئاً . أوقفي هذا المأتم ..

ضوء المكـــان : ماذا تريدني أن أفعل؟

بديع الزمـــان : لست أدري .. أنت الكاتبة وليس أنا .. اجعليني مثلاً أخاك في الرضاع ،حتى لا يجوز زواجنا ..

ضوء المكـــان : الملعون .. غن معنا يا بديع الزمان .. غن ، ولا تفسد علينا وعلى الجمهور هذه النهاية الوردية ..(يغنون)

المجمـوعـــــــة : (تغني) اتحششي يا حلوه يا زينـة يا وردة جوا جنينـة

(يتعالى صوت الغناء ، و يزداد إيقاع الحركات المجنونة حدة ثم .. ظلام تام)